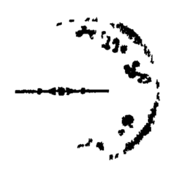
عبد اللطيف البغدادى
فى مصر



وصف مصر حوالى سنة ١٢٠٠ للميلاد

بقلم الأديب العربى المشهور عبد اللطيف البغدادى





طبع بمطبعة المحلة الجديدة
شارع الملكة نازلى ١٤٩
بالقاهرة



عبد اللطيف البغدادى في مصر

وصف مصر حوالى سنة ١٢٠٠ ميلاد

بقلم الأديب العربى المشهور عبد اللطيف البغدادى

كلمة المحرر

نشرنا هذا الكتاب لجملة أسباب . منها أنه يصف حالة مصر فى عصر صلاح الدين (الذى مات سنة ١١٩٣) وهو العصر الذى نهضت فيه الامة عقب خمول الدولة الفاطمية وانقراضها . ومنها أننا أردنا ان نضيف الى المؤلفات التى نهديها الى المشتركين بالمجلة الجديدة مؤلفا قديما يصل بين الثقافتين القديمة والحديثة

واسلوب عبد اللطيف من أرق الاساليب وله أفكار عصرية غريبة ورغبة فى الدقة ونزوع الى التحقيق العلمى مع نقائص قد يعذر عليها للزمن الذى عاش فيه

ورجل عاش فى عصر صلاح الدين والحروب الصليبية ورأى موسى ابن ميمون وعاصر السهروردى وتنقل بين بغداد والموصل ودمشق والقاهرة جدير أن يعرفه القارىء العربى

ولم نسم هذا الكتاب باسمه الاصلى « الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » وانما اكتفينا بعنوان « عبد اللطيف البغدادى فى مصر »

وقد وضع هذا الكتاب حوالى سنة ١٢٠٠ للميلاد . وهو يمثل لنا مصر فى القرون الوسطى

سلامه موسى

ترجمة المؤلف

نقلنا هذه الترجمة مع بعض الاختصار من
كتاب طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة

هو الشيخ الامام الفاضل موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد ويعرف بابن اللباد موصلي الاصل بغدادي المولد. كان مشهوراً بالعلوم متحليا بالفضائل مليح العبارة كثير التصنيف وكان متميزاً في النحو واللغة العربية عارفا بعلم الكلام والطب. وكان قد اعتنى كثيراً بصناعة الطب لما كان بدمشق واشتهر بعلمها وكان يتردد اليه جماعة من التلاميذ وغيرهم من الاطباء للقراءة عليه وكان والده قد شغله بسماع الحديث في صباه من جماعة، منهم أبو الفتح محمد بن عبدالباقي المعروف بابن البطي وأبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي وأبو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم. وكان يوسف والد الشيخ موفق الدين مشتغلا بعلم الحديث بارعا في علوم القرآن والقراآت مجيدا في المذهب والخلاف والاصولين وكان متطرفا من العلوم العقلية. وكان سليمان عم الشيخ موفق الدين فقيهاً مجيداً وكان الشيخ موفق الدين عبد الله كثير الاشتغال لايخلي وقتاً من أوقاته من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة. والذي وجدته من خطه أشياء كثيرة جداً بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخاً متعددة وكذلك أيضاً كتب كتبا كثيرة من تصانيف القدماء. وكان صديقا لجدي وبينهما صحبة أكيدة بالديار المصرية لما كانا بها. وكان أبي وعمي يشتغلان عليه بعلم الأدب واشتغل عليه عمي أيضا بكتب أرسطوطاليس. وكان الشيخ موفق الدين كثير العناية بها والفهم لمعانيها وأتى إلى دمشق من الديار المصرية وأقام بها مدة وكثر انتفاع الناس بعلمه ورأيته لما كان مقيما بدمشق في آخر مرة أتى اليها وهو شيخ نحيف الجسم ربع القامة حسن الكلام جيد العبارة وكانت مسطرته أبلغ من لفظه وكان رحمه الله يتجاوز في الكلام لكثرة ما يرى في نفسه وكان يستنقص الفضلاء الذين في زمانه وكثيراً من المتقدمين

وكان وقوعه كثيراً جداً فى علماء العجم ومصنفاتهم وخصوصا الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه

(ونقلت) من خطه فى سيرته التى ألفها ماهذا مثاله قال: انى ولدت بدار لجدى فى درب الفالوذج فى سنة سبعة وخمسين وخمسمائة وتربيت فى حجر الشيخ أبى النجيب لاأعرف اللعب واللهو وأكثر زمانى مصروف فى سماع الحديث وأخذت لى أجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر. وقال لى والدى يوما قد أسمعتك جميع عوالى بغداد وألحقتك فى الرواية بالشيوخ المسان. وكنت فى أثناء ذلك أتعلم الخط وأتحفظ القرآن والفصيح والمقامات وديوان المتنبى ونحو ذلك ومختصرا فى الفقه ومختصرا فى النحو فلما ترعرعت حملنى والدى الى كمال الدين عبد الرحمن الانبارى وكان يومئذ شيخ بغداد وله بوالدى صحبة قديمة أيام التفقه بالنظامية فقرأت عليه خطبة الفصيح فهذر كلاما كثيراً متتابعا لم أفهم منه شيئاً لكن التلاميذ حوله يعجبون منه ثم قال أنا أجفو عن تعليم الصبيان أحمله الى تلميذى الوجيه الواسطى يقرأ عليه فاذا توسطت حاله قرأ على. وكان الوجيه عند بعض أولاد رئيس الرؤساء وكان رجلا أعمى من أهل الثروة والمروءة فاخذنى بكلتى يديه وجعل يعلمنى من أول النهار إلى آخره بوجوه كثيرة من التلطف فكنت أحضر حلقته بمسجد الظفرية ويجعل جميع الشروح لى ويخاطبنى بها وفى آخر الأمر أقرأ درسى ويخصنى بشرحه ثم نخرج من المسجد فيذاكرنى فى الطريق. فاذا بلغنا منزله أخرج الكتب التى يشتغل بها مع نفسه فاحفظ وأحفظ معه ثم يذهب الى الشيخ كمال الدين فيقرأ درسه ويشرح له وأنا أسمع. وتخرجت الى ان صرت أسبقه فى الحفظ والفهم وأصرف أكثر الليل فى الحفظ والتكرار وأقمنا على ذلك برهة كلما جاء حفظى كثر وجاد وفهمى قوى واستنار وذهنى احتد واستقام. وأنا ألازم الشيخ وشيخ الشيخ وأول ما ابتدأت حفظت اللمع فى ثمانية أشهر أسمع كل يوم شرح أكثره مما يقرره غيرى وانقلب الى بيتى فاطالع شرح الثمانينى وشرح الشريف عمر بن حمزة وشرح ابن برهان وكل ما أجد من شروحها وأشرحها لتلاميذ يختصون بى الى ان صرت أتكلم على كل باب كراريس [illegible] ثم حفظت أدب الكاتب لابن قتيبة حفظا متقنا أما القسم

الأول فى شهور وأما تقويم اللسان ففى أربعة عشر يوما لأنه كان أربعة عشر كراسا ثم حفظت مشكل القرآن له وغريب القرآن له وكل ذلك فى مدة يسيرة ثم انتقلت الى الايضاح لأبى على الفارسى فحفظته فى شهور كثيرة ولازمت مطالعة شروحه وتتبعته التتبع التام حتى تبحرت فيه وجمعت ماقال الشراح وأما التكملة فحفظتها فى أيام يسيرة كل يوم كراسا وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت على المقتضب للمبرد وكتاب ابن درستويه وفى أثناء ذلك لاأغفل سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب وهى مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب قال وللشيخ كمال الدين مائة تصنيف وثلاثون تصنيفا أكثرها فى النحو وبعضها فى الفقه والاصولين وفى التصوف والزهد وأتيت على أكثر تصانيفه سماعا وقراءة وحفظا وشرع فى تصنيفين كبيرين أحدهما فى اللغة والآخر فى الفقه ولم يتفق [illegible] فحفظت عليه طائفة من كتاب سيبويه وأكببت على المقتضب فأتقنته وبعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سيبويه ولشرحه للسيرافى [illegible] قرأت على ابن عبيدة الكرخى كتبا كثيرة منها كتاب الاصول لابن السراج [illegible] وقفت ابن الحساب [illegible] المأمونية وقرأت عليه الفرائض والفروض [illegible] التبريزى وهو من خواص تلاميذ ابن الشجرى وأما ابن الخشاب فسمعت [illegible] معانى الزجاج على الكاتبة شهدة بنت الابرى وسمعت منه الحديث المسلسل وهو الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء.

وقال أيضا موفق الدين البغدادى أن من مشايخه الدين [illegible] كما زعم ولد [illegible] بن التلميذ وبالغ فى وصفه وكبر وهذا لكثرة تعصبه للعراقيين والا [illegible] امين الدوله لم يكن بهذه المثابة [illegible] وقال أنه ورد الى بغداد رجل [illegible] فى زى التصوف له [illegible] وليس مقبول الصورة عليه مسحة الدين [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مطرفا لكنه قد أمعن فى كتب الكيمياء والطلسمات وما يجرى مجراها وأتى على كتب جابر بأسرها وعلى كتب ابن وحشية وكان يخلب القلوب بصورته ومنطقه وايهامه فملأ قلبى سوقا الى العلوم كلها واجتمع بالامام الناصر لدين الله وأعجبه ثم سافر وأقبلت على الاشتغال وشمرت ذيل الجد والاجتهاد وهجرت النوم واللذات وأكببت على كتب الغزالى المقاصد والمعيار والميزان ومحك النظر ثم انتقلت الى كتب ابن سينا صغارها وكبارها وحفظت كتاب النجاة وكتبت الشفاء وبحثت فيه وحصلت كتاب التحصيل لبهمنيار تلميذ ابن سينا وكتبت وحصلت كثيراً من كتب جابر بن حيان الصوفى وابن وحشية وباشرت عمل الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغة وأقوى من أضلنى ابن سينا بكتابه فى الصنعة الذى تمم به فلسفته التى لاتزداد بالتمام إلا نقصا

قال ولما كان فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة حيث لم يبق ببغداد من يأخذ بقلبى ويملأ عينى ويحل مايشكل على دخلت الموصل فلم أجد فيها بغيتى لكن وجدت الكمال بن يونس جيداً فى الرياضيات والفقه متطرفا من باقى أجزاء الحكمة قد استغرق عقله ووقته حب الكيمياء وعملها حتى صار يستخف بكل ماعداها واجتمع الى جماعة كثيرة وعرضت على مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ودار الحديث التى تحتها وأقمت بالموصل سنة فى اشتغال دائم متواصل ليلا ونهارا وزعم أهل الموصل أنهم لم يروا من أحد قبلى ماراوا منى من سعة محفوظ وسرعة الخاطر وسكون الطائر وسمعت الناس يهرجون فى حديث شهاب السهروردى المتفلسف ويعتقدون أنه قد فاق الأولين والآخرين وأن [illegible] وت تصا [illegible] القدماء [illegible] قصد [illegible]

[illegible] أيضا [illegible]

[illegible] الرمان [illegible] وجدت لى [illegible]

لا [illegible]

[illegible] أ تاله [illegible]

[illegible] ولما دخلت دمشق وجدت [illegible] والحس

وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء وابن طلحة الكاتب وبيت ابن جهير وابن العطار المقتول الوزير وابن هبيرة الوزير . واجتمعت بالكندي البغدادي النحوي وجرت بيننا مباحثات فأظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة ثم انى أهملت جانبه فكان يتأذى بإهمالي له أكثرمما يتأذى الناس منه . وعملت بدمشق تصانيف جمة منها غريب الحديث الكبير جمعت فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي وكنت ابتدأت به في الموصل وعملت له مختصراً سميته المجرد وعملت كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة نحو عشرين كراسا وكتاب الألف واللام وكتاب رب وكتابا في الذات والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلمين وقصدت بهذه المسئلة الرد على الكندي . ووجدت بدمشق الشيخ عبد الله بن ناتلي نازلا بالمأذنة الغربية وقد عكف عليه جماعة وتحزب الناس فيه حزبين له وعليه فكان الخطيب الدولعي عليه وكان من الاعيان له منزلة وناموس ثم خلط ابن ناتلي على نفسه فأعان عدوه عليه وصار يتكلم في الكيمياء والفلسفة وكثر التشنيع عليه واجتمعت به فصار يسألني عن أعمال اعتقد أنها خسيسة نزرة فيعظمها ويحتفل بها ويكتبها مني وكاشفته فلم أجده كما كان في نفسي فساء به ظني وبطريقته ثم باحثته في العلوم فوجدت عنده منها اطرافا نزرة . فقلت له يوما : لو صرفت زمانك الذي ضيعته في طلب الصنعة الى بعض العلوم الشرعية او العقلية كنت اليوم فريد عصرك مخدوما طول عمرك وهذا هو الكيمياء لاماتطلبه . ثم اعتبرت بحاله وازدجرت بسوء مآله . والسعيد من وعظ بغيره فأقلعت ولكن لا كل الاقلاع ثم انه توجه الى صلاح الدين بظاهر عكا يشكو اليه الدولعي وعاد مريضاً وحمل الى البيمارستان فمات به واخذ كتبه المعتمد شحنة دمشق وكان متيما بالصنعة . ثم انى توجهت الى زيارة القدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا فاجتمعت ببهاء الدين شداد قاضي العسكر يومئذ وقد اتصلت به شهرتي بالموصل فانبسط الى واقبل علي وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب . فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاء الدين فوجدته يكتب كتاباً الى الديوان العزيز بقلم الثلث [illegible] غير سودة . وقال هذا كتاب إلى بلدكم . وذاكرني في مسائل [illegible] الكلام وقال [illegible] قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليه فرأيت شيخاً ضئيلا كله رأس وقلب

وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب الوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكأنه يكتب بجملة أعضائه . وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها . أين جواب إذا وأين جواب لو في قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال . وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء . وقال لي ترجع الى دمشق وتجرى عليك الجرايات فقلت أريد مصر فقال السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها . فقلت لابد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيله بها فلما دخلت القاهرة جاءني وكيله وهو ابن سناء الملك وكان شيخا جليل القدر نافذ الامر فانزلني دارا قد ازيحت عللها وجاءني بدنانير وغلة . ثم مضى الى أرباب الدولة وقال هذا ضيف القاضي الفاضل فدرت الهدايا والصلات من كل جانب وكانت كل عشرة أيام أو نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي وأقمت بمسجد الحاجب رحمه الله أقرىء الناس وكان قصدي في مصر ثلاث أنفس ياسين السيميائي والرئيس موسى بن ميمون اليهودي وأبو القاسم الشارعي . وكلهم جاؤني . أما ياسين فوجدته محاليا كذابا مشعبذا يشهد للشاقاني بالكيمياء ويشهد له الشاقاني بالسيمياء ويقول عنه أنه يعمل أعمالا يعجز موسى ابن عمران عنها وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء وبأي مقدار شاء وبأي سكة شاء وانه يجعل ماء النيل خيمة ويجلس فيه وأصحابه تحتها . وكان ضعيف الحال . وجاءني موسى فوجدته فاضلا لافي الغاية قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة أرباب الدنيا وعمل كتابا في الطب جمعه من الستة عشر لجالينوس ومن خمسة كتب أخرى وشرط أن لايغير فيه حرفا الا ان يكون واو عطف أو فاء وصل وانما ينقل فصولا يختارها . وعمل كتابا لليهود سماه كتاب الدلالة ولعن من يكتبه بغير القلم العبراني ووقفت عليه فوجدته كتاب سوء يفسد أصول الشرائع والعقائد بما يظن أنه يصلحها . وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب نير الطلعة مقبول الصورة فهابه الجمع ورفعوه فوقهم وأخذت في اتمام كلامي فلما تصرم المجلس جاءني امام المسجد وقال أتعرف هذا الشيخ ؟ هذا أبو القاسم الشارعي

اعـ قـه وقلت اياك أطلب فأخذته الى منزلى وأكلنا الطعام وتفاوضنا الحديث
فوجدته كما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين سيرته سيرة الحكماء العقلاء وكذا صورته
يـ صى من الدنيا بعرض لا يتعلق منها بشيء يشغله عن طلب الفضيلة . ثم لازمنى
ووجدته قيماً بكتب القدماء وكتب أبى نصر الفارابى ولم يكن لى اعتقاد فى أحد
من هولاء لأنى كنت أظن ان الحكمة كلها حازها بن سينا وحشاها كتبه وإذا
تفاوضنا الحديث أعلبه بقوة الجدل وفضل اللسن ويغلبنى بقوة الحجة وظهور
المحجة وأنا لا ابى قانى لعدمه ولا أحيد عن جادة الهوى والتعصب بزمره فصار
يحضر شيأ بعد شيء من كتب ابى نصر والاسكندر وثامسطيوس يونس بذلك
نفارى ويلين عريكة شماسى حتى عطفت عليه اقدم رجلا واؤخر أخرى وشاع ان
صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فقادت الضرورة الى التوجه اليه فأخذت
من كتب القدماء ما أمكننى ووجدت فى القدس ورأيت ملكا عظيما يملأ العين
روعة والقلوب محبة قريبا بعيدا سهلا محببا وصحابه يتشبهون به يتسابقون الى
المعروف كما قال تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل واول ليل حضرته وجدت
مجلسه حفلا بأهل العلم يتذاكرون فى اصناف العلوم وهو يحسن الاجتماع والمشاركة
ويأخذ فى كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق ويتفقه فى ذلك ويأتى بكل معنى
بديع وكان مهتما فى بناء سور القدس وحفر خندقه يتولى ذلك بنفسه وينقل الاحجار
على عاتقه ويتأسى به جميع الناس الفقهاء والأغنياء والاقوياء والضعفاء حتى العماد
الكاتب والقاضى الفاضل ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر يأتى
داره ويمد الطعام ثم يستريح ويركب عصرا ويرجع فى المشاعل ويصرف أكثر
الليل فى تدبير ما يعمل نهارا فكتب لى صلاح الدين بالاثين دينارا فى كل شهر
على ديوان الجامع بدمشق وأطلق أولاده رواتب حتى تقرر لى فى كل شهر مائة
. . . رجعت فى دمشق وأكببت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع وكلما
[illegible] فى كتب القدماء ازددت فيها رغبة وفى كتب ابن سينا زهادة وأطلعت
[illegible] بطلان الكيميا وعرفت حقيقة [illegible]
[illegible] وتضاعف شكرى

لله سبحانه وتعالى على ذلك فان أكثر الناس انما هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء.
ثم ان صلاح الدين دخل دمشق وخرج يودع الحاج ثم رجع فحم فقصده من لا
خبرة عنده فخارت القوة ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليه شبيها بما
يجدونه على الانبياء وما رأيت ملكا حزن الناس بموته سواه لأنه كان محبوبا يحبه
البر والفاجر والمسلم والكافر ثم تفرق أولاده وأصحابه أيادى سبا ومزقوا فى
البلاد كل ممزق وأكثرهم توجه الى مصر لخصبها وسعة صدر ملكها وأقمت بدمشق
وملكها الملك الافضل وهو اكبر الاولاد فى السن إلى ان جاء الملك العزيز
وسائر مصر يحاصر أخاه بدمشق فلم ينل منه بغية ثم تأخر الى مرج الصفر لقولنج
عرض له فخرجت اليه بعد خلاصة منه فاذن لى فى الرحيل معه وأجرى على من
بيت المال كفايتى وزيادة وأقمت مع الشيخ أبى القاسم يلازمنى صباح مساء الى ان
قضى نحبه ولما اشتد مرضه وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسه أشرت عليه
بدواء فانشد

لا أذود الطير عن شجر   قد بلوت المر من ثمره

ثم سألته عن ألمه فقال ما الجرح بميت ايلام

وكانت سيرتى فى هذه المدة أنى اقرىء الناس بالجامع الازهر [illegible] أول النهار الى
نحو الساعة الرابعة ووسط النهار يأتى من يقرأ الطب وغيره وآخر النهار أرجع
الى الجامع الازهر فيقرأ قوم آخرون وفى الليل اشتغل مع نفسى ولم أزل على
ذلك الى أن توفى الملك العزيز وكان شابا كريما شجاعا كثير الحياء لا يحسن قول
[illegible] مع حداثة سنه وفرط شبابه كامل العفة عن الاموال [illegible] وح
[illegible] الشيخ [illegible] أقام بالقاهرة [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] اولاد [illegible] مصر [illegible]
[illegible] الذى [illegible] شهد [illegible] وألف الشيخ [illegible] فى ذلك كتابا ذكر
[illegible] شاهده وسمعه [illegible] كتاب
الافادة والاعتبار فى الامور المشاهدة والحوادث [illegible]
[illegible] السلطان الملك العادل [illegible] الديار المصرية وأكثر
[illegible] أحوال [illegible] الدور [illegible]

توجه الشيخ موفق الدين إلى القدس وأقام بها مدةوكان يتردد الى الجامع الاقصى ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم وصنف هنالك كتبا كثيرة .ثم أنه توجه الى دمشق ونزل بالمدرسةالعزيزية بها وذلكفى سنة أربع وستمائة . وشرع فى التدريس والاشتغال وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليـــه ويقرأون أصنافا من العلوم وتميز فى صناعة الطب بدمشق وصنف فى هذا الفن كتباً كثيرة وعرف به . وأما قبل ذلك فانما كانت شهرته بعلم النحو . وأقام بدمشق مدة وانتفع الناس به ثم أنه سافر الى حلب وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة وكان فى خـدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام صاحب ارزنجان . وكان مكينا عنده عظيم المنزلة وله منه الجامكية الوافرة والاقتقادات الكثيرة وصنف باسمه عدة كتب . وكانهذا الملك عالى الهمة كثير الحياء كريم النفس وقد اشتغل بشىء من العلوم ولم يزل فى خدمته الى أن استولى على ملكه صاحب ارزن الروم وهو السلطان كيقباذ بن كيخسرو ابن قلج أرسلان ثم قبض على صاحب أرزنجان ولم يظهر له خبر

(قال) الشيخ موفق الدين عبد اللطيف ولما كان فى سابع عشر ذى القعدة من سنة خمس وعشرين وستمائة توجهت الى أرزن الروم وفى حادى عشر صفر من سنة ست وعشرين وخمسمائة رجعت الى أرزنجان من ارزن الروم وفى نصف ربيع الأول توجهت الى كماخ وفى جمادى الاولى توجهت منها الى دبركى وفى رجب توجهت منها الى ملطية وفى آخر رمضان توجهت الى حلب ووصلينا صلاة عيد الفطر بالبهسناء ودخلنا حلب يوم الجمعة تاسع شوال فوجدناها قد تضاعفت عمارتها وخيرها وأمنها بحسن سيرة أتابك شهاب الدين واجتمع الناس على محبته لمعدلته فى رعيته

(أقول) وأقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يشتغلون عليه وكثرت تصانيفه وكان له من شهاب الدين طغريل الخادم أتابك حلب جار حسن وهو مع تدريس صناعة الطب وغيرها يتردد الى الجامع بحلب ليسمع [illegible]

ويشتغل [illegible] وكان دائما لا [illegible] الكتابة [illegible]

[illegible] أنه تصرف [illegible]

ومراسلاته وبعث الى أشياء من تصانيفه من خطه

(وهذه) نسخة كتاب كتبته اليه لما كان بحلب : المملوك يواصل بدعائه وثنائه وشكره وانتمائه الى عبودية المجلس السامى المولوى السيدى السندى الأجلى الكبيرى العالمى الفاضلى موفق الدين سيد العلماء فى الغابرين والحاضرين جامع العلوم المتفرقة فى العالمين ولى أمير المؤمنين أوضح الله به سبل الهداية وأنار ببقائه طرق الدراية وحقق بحقائق ألفاظه صحيح الولاية ولا زالت سعادته دائمة البقاء وسيادته سامية الارتقاء وتصانيفه فى الآفاق قدوة العلماء وعمدة سائر الأدباء والحكماء . المملوك يجدد الخدمة ويهدى من السلام أطيبه ومن الشكر والثناء أعذبه وينهى مايكابده من ألم التطلع الى مشاهدة أنوار شمسه المنيرة وما يعانيه من الارتياح الى ملاحظة شريف حضرته الاثيرة وما تزايد من القلق وتعاظم عند سماعه قرب المزار من الأرق

وأبرح مايكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

ولولا أمل قفول الركاب العالى ووصول الجناب الموفقى الجلالى لسارع المملوك الى الوصول ولبادر المبادرة بالمثول ولجاء الى شريف خدمته وفاز بالنظر الى بهى طلعته فياسعادة من فاز بالنظر اليه ويابشرى من مثل بين يديه ويا سرور من حظى بوجه اقباله عليه ومن ورد بحار فضله من نميرها واستضاء بشمس علمه وسرى فى ضياء منيرها نسأل الله تعالى تقريب الاجتماع وتحصيل الجمع بين مسرتى الأبصار والاسماع بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى

(ومن مراسلات) الشيخ موفق الدين عبد اللطيف انه بعث الى أبى فى أول كتاب وهو يقول فيه عنى : ولد الولد أعز من الولد وهذا موفق الدين ولد ولدى وأعز الناس عندى وما زالت النجابة تتبين لى فيه من الصغر . ووصف وأثنى كثيرا . وقال فيه : ولو أمكننى أن آتى اليه بالقصد ليشتغل على فعلت . وبالجملة فانه قد عزم ان يأتى الى دمشق ويقيم بها ثم خطر له انه فى ذلك يحج ويجعل طريقه على بغداد وان يقدم بها للخليفة المستنصر بالله أشياء من تصانيفه ولما وصل بغداد مرض

[illegible] ثانى عشر المحرم سنة تسع وعشرين

وستمائة . ودفن بالوردية عند أبيه وذلك بعد ان خرج من بغداد وبقي غائبا عنها خمسا وأربعين سنة . ثم ان الله تعالى ساقه اليها وقضى منيته بها

(ومن) كلام موفق الدين عبد اللطيف البغدادي مما نقلته من خطه قال : ينبغي ان تحاسب نفسك كل ليلة اذا أويت الى منامك وتنظر ما كسبت فى يومك من حسنة فتشكر الله عليها وما اكتسبت من سيئة فتستغفر الله منها وترتب فى نفسك ما تعمله فى غدك من الحسنات وتسأل الله الاعانة على ذلك. وقال أوصيك ان لا تأخذ العلوم من الكتب وان وثقت من نفسك بقوة الفهم وعليك بالاستاذين فى كل علم تطلب اكتسابه ولو كان الاستاذ ناقصا فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه وعليك بتعظيمه وتوقيره وان قدرت أن تفيده من دنياك فافعل والا فبلسانك وثنائك وإذا قرأت كتابا فاحرص كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه وتوهم أن الكتاب قد عدم وأنك مستغن عنه لا تحزن لفقده وإذا كنت مكبا على دراسة كتاب وتفهمه فإياك أن تشتغل بآخر معه واصرف الزمان الذى تريد صرفه فى غيره اليه واياك أن تشتغل بعلمين دفعة واحدة وواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين أو ما شاء الله فاذا قضيت منه وطرك فانتقل الى علم آخر ولا تظن انك إذا حصلت علما فقد اكتفيت بل تحتاج الى مراعاته لينمى ولا ينقص ومراعاته تكون بالمذاكرة والتفكر واشتغال المبتدىء بالتحفظ والتعلم ومباحثة الاقران واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف وإذا تصديت لتعليم علم أو المناظرة فيه فلا تمزج به غيره من العلوم فان كل علم مكتف بنفسه مستغن عن غيره فان استعانتك فى علم بعلم عجز عن استيفاء أقسامه . وكمن يستعين بلغة أخرى إذا ضاقت عنه أو جهل بعضها قال وينبغي للانسان أن يقرأ التواريخ وأن يطلع على السير وتجارب الامم فيصير بذلك كانه فى عمره القصير قد أدرك الامم الخالية وعاصرهم وعاشرهم وعرف خيرهم وشرهم قال وينبغي أن تكون سيرتك سيرة الصدر الأول فاقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتتبع أفعاله وأحواله وتقف آثاره وتشبه به ما أمكنك وبقدر طاقتك وإذا وقفت على سيرته فى مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه ويقظته وتمرضه وتطببه وتمتعه وتطيبه ومعاملته [illegible]

[illegible] وفعلت اليسير من ذلك فأنت [illegible] السعيد قال

[illegible] ولا تحسن [illegible] وتعرض خواطرك على

العلماء وعلى تصانيفهم وتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ومع الاستبداد الزلل ومن لم يعرق جبينه الى أبواب العلماء لم يعرق فى الفضيلة ومن لم يخجلوه لم يبجله الناس ومن لم يبكتوه لم يسود ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم ومن لم يكدح لم يفلح وإذا خلوت من التعلم والتفكر فحرك لسانك بذكر الله وبتسابيحه وخاصة عند النوم فيتشربه لبك ويتعجن فى خيالك وتتكلم به فى منامك وإذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات وإذا احزنك أمر فاسترجع وإذا اعترتك غفلة فاستغفر واجعل الموت نصب عينك والعلم والتقى زادك الى الآخرة وإذا أردت أن تعصى الله فاطلب مكانا لا يراك فيه. واعلم ان الناس عيون الله على العبد يريهم خيره وأن أخفاه وشره وأن ستره فباطنه مكشوف لله والله يكشفه لعباده فعليك أن تجعل باطنك خيراً من ظاهرك وسرك أصح من علانيتك ولا تتألم إذا اعرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل. وقلما يتعمق فى العلم ذو الثروة إلا ان يكون شريف الهمة جداً أو ان يثرى بعد تحصيل العلم وانى لا اقول ان الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذى يعرض عنها لأن همته مصروفة الى العلم فلا يبقى له التفات الى الدنيا والدنيا انما تحصل بحرص وفكر فى وجوهها فاذا غفل عن اسبابها لم تأته. وايضاً فان طالب العلم اشرف نفسه عن الصنائع الرذلة والمكاسب الدنية وعن أصناف التجارات وعن التذلل لأرباب الدنيا والوقوف على ابوابهم ولبعض اخواننا بيت شعر

من جد فى طلب العلوم أفاته شرف العلوم دناءة التحصيل

وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج الى فراغ وقت وحذق فيها وصرف الزمان إليها والمشتغل بالعلم لا يسعه شيء من ذلك وانما ينتظر ان تأتيه الدنيا بلا سبب وتصده من غير ان يطلبها طلب مثلها وهذا ظلم منه وعدوان ولكن اذا تمكن الرجل فى العلم وشهر به خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب وجاءته الدنيا صاغرة وأخذها وماء وجهه موفور وعرضه ودينه مصون واعلم ان للعلم عبقة وعرفا ينادى [illegible] وتشرق عليه ويدل عليه كتاجر المسك لا يخفى مكانه ولا

تجهل بضاعته ولكن يمشي بمشعل في ليل مدلهم . والعالم مع هذا محبوب أينما كان وكيفما كان لايجد الا من يميل اليه ويؤثر قربه ويأنس به ويرتاح بمداناته وأعلم أن العلوم تغور ثم تفور . تفور في زمان وتغور في زمان . بمنزلة النبات أو عيون المياه وتنتقل من قوم الى قوم ومن صقع الى صقع (ومن) كلامه أيضا نقلته من خطه قال : أجعل كلامك في الغالب بصفات أن يكون وجيزاً فصيحا في معنى مهم أو مستحسن فيه الغاز ما وايهام كثير أو قليل ولا تجعله مهملا ككلام الجمهور بل رفعه عنهم ولا تباعده عليهم جدا . وقال اياك والهذر والكلام فيما لا يعني وإياك والسكوت في محل الحاجة ورجوع النوبة اليك أما لاستخراج حق أو اجتلاب مودة أو تنبيه على فضيلة واياك والضحك مع كلامك وكثرة الكلام وتبتير الكلام بل اجعل كلامك سردا بسكوت بحيث يستشعر منك أن وراءه أكثر منه وانه عن خبرة سابقة ونظر متقدم . وقال اياك والغلظة في الخطاب والجفا في المناظرة فان ذلك يذهب بهجة الكلام ويسقط فائدته ويعدم حلاوته ويجلب الضغائن ويمحق المودات ويصير القائل مستثقلا سكوته أشهى الى السامع من كلامه ويثير النفوس على معاندته ويبسط الألسن بمخاشنته واذهاب حرمته . وقال لاترتفع بحيث تستثقل ولا تتنازل حيث تستخس وتستحقر وقال أجعل كلامك كله جزلا وأجب من حيث تعقل لا من حيث تعتاد وتألف . وقال انتزح عن عادات الصبا وتجرد عن مألوفات الطبيعة واجعل كلامك لاهوتيا في الغالب لا يخلو من خبر أو قرآن أو قول حكيم أو بيت نادر أو مثل سائر وقال تجنب الوقيعة في الناس وثلب الملوك والغلظة على المعاشرة وكثرة الغضب وتجاوز الحد فيه وقال استكثر من حفظ الاشعار لامثالية والنوادر الحكمية والمعاني المستغربة (ومن [illegible] دعائه رحمه الله قال اللهم أعذنا من شموس الطبيعة وجموح النفس الردية وسابق لنا مقادة التوفيق وخذ بنا في سواء الطريق [illegible] الهدى . [illegible] بامرته [illegible] يحيي القلوب الميتة بالايمان ياميز ظلمة الضلالة [illegible] لا تنقذ [illegible] ايدينا من [illegible] نجنا من ردغة الطبيعة [illegible] من [illegible]
[illegible] الآخرة و [illegible]

هـــذا كتاب
الأفادة والاعتبار فى الأمور
المشاهدة والحوادث
المعاينـــة بأرض مصر
لعبـــد اللطيف
البغدادى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقالة الاولى وهى ستة فصول

الفصل الأول

فى خواص مصر العامة لها

أن أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الأخبار . وهى واد يكتنفه جبلان شرقى وغربى . والشرقى أعظمهما . يبتديان من اسوان ويتقاربان بأسناحتى يكادا يتماسان ثم ينفرجان قليلاقليلا . وكلما امتدا طولا انفرجا عرضا حتى إذا آزيا الفسطاط كان بينهما مسافة يوم فمادونه . ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيل ينساب بينهما ويتشعب بأسافل الارض وجميع شعبه تصب فى البحر المالح

وهذا النيل له خاصتان . الاولى — بعد مرماه . فانا لانعلم فى المعمورة نهراً أبعد مسافة منه لأن مباديه عيون تأتى من جبل القمر وزعموا أن هذا الجبل وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة وعرض اسوان وهى مبدأ أرض مصر اثنتان وعشرون درجة ونصف درجة وعرض دمياط وهى أقصى أرض مصر احدى وثلاتون درجة وثلث درجة . فتكون مساحة النيل على خط مستقيم ثلاثا وأربعين درجة تنقص سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسع مائة فرسخ هذا سوى ما يأخذ من التعريج والتوريب فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدا

والخاصة الثانية — أنه يزيد عند نضوب سائر الانهار وتنقص المياه لأنه يبتدىء بالزيادة عند انتهاء طول النهار ويتمادى زيادته عند الاعتدال الخريفى وحينئذ تفتح الترع وتفيض على الاراضى . وعلة ذلك أن مواد زيادته أمطار

غزيرة دائمة وسيول متواصلة تمده فى هذا الاوان فان امطار الاقليم الاول والثانى انما تغزر فى الصيف والقيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خواص منها أنه لا يقع بها مطر الا ما لا احتفال به وخصوصاً صعيدها فأما أسافلها فقد يقع بها مطر جود لكنه لا يفى بحاجة الزراعة . وأما دمياط والاسكندرية وماداناهما فهى غزيرة المطر ومنه يشربون وليس بأرض مصر عين ولا نهر سوى نيلها

ومنها أن أرضها رملية لا تصلح للزراعة لكنه يأتيها طين اسود علك فيـــه دسومة كثيرة يسمى الابليز يأتيها من بلاد السودان مختلطاً بماء النيل عند مده فيستقر الطين وينضب الماء فيحرث ويزرع . وكل سنة يأتيها طين جديد ولهذا يزرع جميع أراضيها ولا يراح شىء منها كما نفعل فى العراق والشام لكنها يخالف عليها الاصناف . وقد لحظت العرب ذلك فانها تقول اذا كثرت الرياح جادت الحراثة لأنها تجىء بتراب غريب وتقول أيضاً إذا كثرت المؤتفكات زكا الزرع . ولهذه العلة تكون أرض الصعيد زكية كثيرة الأتاء والريع اذا كانت أقرب الى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الارض فانها أسافة مضوية اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لأنه يأتيها الماء وقد راق وصفا ولا أعرف شبيها بذلك إلا ما حكى لى عن بعض جبال الأقليم الاول أن الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتلبد فيحرث ويزرع فاذا حصد جاءته رياح أخرى فنسفته حتى يعود أجرد كما كان أولا . ومنها أن الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التى لها فان أخص الاوقات باليبس فى سائر البـــلاد أعنى الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر بمد نيلها وفيضه لأنه يمد فى الصيف ويطبق الأرض فى الخريف . وأما سائر البلاد فإن مياهها تنش فى هذا الأوان وتغزر فى أخص الاوقات بالرطوبة أعنى الشتاء والربيع ومصر إذ ذاك تكون فى غاية القحولة واليبس وهذه العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوائها [illegible] الأمراض [illegible] عن أخلاط صفراوية [illegible] تجد فيهم أمراضا [illegible] فى الشباب والمحرورين . وكثير

مايكون مع الصفراخام . وأكثر أمراضهم فى آخر الخريف وأول الشتاء لكنها يغلب عليها حميد العاقبة وتقل فيهم الامراض الحادة والدموية الوحية وأما أصحاؤهم فيغلب عليهم الترهل والكسل وشحوب اللون وكمودته وقلما ترى فيهم مشبوب اللون ظاهر الدم وأما صبيانهم فضاوون يغلب عليهم الدمامة وقلة النضارة وانما تحدث لهم البدانة والقسامة غالبا بعد العشرين . وأما ذكاؤهم وتوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة بلدهم الذاتية لان رطوبته عرضية . ولهذا كان أهل الصعيد أنحل جسوما وأجف أمزجة والغالب عليهم السمرة وكان ساكنو الفسطاط الى دمياط أرطب أبدانا والغالب عليهم البياض ولما رأى قدماء المصريين أن عمارة أرضهم انما هى بنيلها جعلوا أول سنتهم أول الخريف وذلك عنـــد بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيادة

ومنها أن الصبا محجوبة عنهم بجبلها الشرقى المسمى المقطم فانه يستر عنها هذه الريح الفاضلة وقلما تهب عليهم خالصة اللهم إلا نكبا . ولهذا اختار قدماء المصريين أن يجعلوا مستقر الملك منف ونحوها مما يبعد عن هـذا الجبل الشرقى الى الغربى واختار الروم الاسكندرية وتجنبوا موضع الفسطاط لقربه من المقطم فان الجبل يستر عما فى لحفه أكثر مما يستر عما بعد منه . ثم ان الشمس بتأخر طلوعها عليهم فيقل فى هوائهم النضج ويبقى زمانا على نهوة الليل ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها ولكثرة رطوبتها يتسارع العفن فيها ويكثر فيها الفار ويتولد من الطين والعقارب تكثر بفوص وكثيرا ماتقتل بلبسها والبق المنتن والذباب والبراغيث تدوم زمانا طويلا

ومنها أن الجنوب اذا هبت عندهم فى الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك كانت باردة جداً ويسمونها المريسى لمرورها على أرض المريس وهى من بلاد السودان . وسبب بردها مرورها على برك ونقائع . والدليل على صحة ذلك أنها اذا دامت [illegible] حرارتها الطبيعية وأسخنت الهواء وأحدثت فيه يبسا

الفصـــــل الثــــانى

فيما تختص به من النبات

من ذلك البامية وهى ثمر بقدر ابهام اليد كأنه جرأ القثاء شديد الخضرة الا أن عليه زيبرأ مشوكا وهو مخمس الشكل يحيط به خمسة اضلاع فاذا شق انشق عن خمسة أبيات بينها حواجز . وفى تلك الابيات حب مصطف مستدير أبيض أصغر من اللوبيا هش يضرب الى الحلاوة وفيه قبض ولعابية كثيرة يطبخ أهل مصر به اللحم بان يقطع مع قشوره صغاراً ويكون طعاماً لابأس به ، الغالب على طبعه الحرارة والرطوبة ولا يظهر فى طبيخه قبض بل لزوجة

ومن ذلك الملوخية ويسميها الاطباء الملوكية . ولعمرى هى الخبازى البستانى والخطمى أيضاً نوع من الخبازى البرى . والملوخية أشد مائية ورطوبة من الخبازى وهى باردة رطبة فى الاولى تزرع فى الناقل ويطبخ لها اللحم وهى كثيرة اللعابية وتزرع أيضا بالشام قليلا ويطبخ بها عندهم فى الندرة وهى ردية للمعدة لكنها تسكن الحرارة وتبرد ويسرع انحدارها لتزلقها قال الاسرائيلى رأيت نوعا ثالثاً من الخبازى يسمى بمصر ملوخية السودان ويعرف بالعراق بالشوشنديا وقوته وفعله وسط بين الملوخية والخبازى لانه أقل غذاء من الملوخية وأكثر من الخبازى

ومن ذلك اللبخ وشجرته كشجرة ريا اصرة وثمرته بقدر الخلال الكبار وفى لونه الا انه متسع الخضرة دون المس وما دام فجا ففيه قبض كما فى البلح فاذا نضج طاب وحلا وعادت فيه لزوجة ونواته كنواة الاجاص أو كقلب اللوزة [illegible] وتكسر [illegible] عن لزرة [illegible] يضاء [illegible] واذا بقيت ثلاثة [illegible] وصلبت . وقد [illegible] اصحاب اللب و [illegible]

[illegible]

[illegible] انه أحد

[illegible] قاتلا

فنقل الى مصرفصار غذاء. وقال نيقولاوس وأما اللبخ فقد كان فى أرض فارس قاتلا فنقل الى الشام والى مصر فصار جيداً مأكولا وهو قليل غال وانما تكون فى البلاد منه شجرات معدودات، وأما خشبه ففى غاية الجودة صلب حجرى واسود وهو عزيز ثمين وأهل مصر يحضرون اللبخ مع الفواكه والانقال. وقال أبو حنيفة الدنيورى اللبخ شجرة عظيمه مثل الاثاب اذا عظم، وورقها كورق الجوز ولها جنا كجنا الحماط مر اذا أكل أعطش واذا شرب عليه الماء نفخ البطن، وهو من شجر الجبال ثم روى عن رجل من صعيد مصر ان اللبخ شجر عظام أمثال الدلب له ثمر أخضر يشبه الثمر حلوجداً الا انه كريه جيد لوجع الاضراس، قال واذا نشر ارعف ناشره وينشر فيبلغ ثمن اللوح خمسين دينارا ويجعله اصحاب المراكب فى بناء السفن لبعض العلل، وزعم أنه اذا ضم منه لوحان ضما شديدا وجعلا فى الماء سنة التحما وصارا لوحا واحدا. وأكثر ماحكاه الدنيورى لاأعرف صحته. وقال ابن سمجون اللبخ يكون بمصر وثمرته جيدة للمعدة وقد يوجد عليه صنف من الرتيلاء وورقه اذا جفف قطع الدم ذرورا والاسهال شربا وفيها قبض بين قال وأما نوى تمره فيزعم أهل مصر أن أكله يحدث صمما

ومن ذلك الجميز وهو بمصر كثير جدا ورأيت منه شيئا بعسقلان والساحل وكأنه تين برى وتخرج ثمرته فى الخشب لاتحت الورق ويخلف فى السنة سبعة بطون ويؤكل أربعة أشهر ويحمل وقرا عظيما وقبل أن يجيء بأيام يصعد رجل الى الشجرة ومعه حديدة يسم بها حبة حبة من الثمرة فيجرى منها لبن أبيض ثم يسود الموضع وتحلو الثمرة بذلك الفعل. وقد يوجد منه شيء شديد الحلاوة أحلى من التين لكنه لايمسك فى أواخر مضغه من طعم خشب [illegible]. [illegible] كبيرة كشجرة الجوز العاتية ويخرج من ثمرة [illegible] اذا [illegible] ابيض اذا طلى على ثوب أوغيره صبغه أحمر. وخشبه تعمر به المساكن ويتخذ منه الابواب وغيرها من الآلات الخشبية وله بقاء على الدهر وصبر على الماء والشمس. وقلما يتآكل هذا مع أنه خشب خفيف قليل الادوية [illegible] من ثمرة [illegible] حاذق [illegible] ها. قال جالينوس الجميز بارد رطب فيما بين التوت والتين وهو ردىء للمعدة [illegible] الجراح وتفش الأورام ويلطخ على لسع الهوام

ويحلل حساة الطحال وأوجاع المعدة ضمادا ويتخذ منه شراب للسعال المتقادم ونوازل الصدر والريه . وعمله بأن يطبخ فى الماء حتى تخرج فيه قوته ويطبخ ذلك الماء مع السكر حتى ينعقد ويرفع وقال أبو حنيفة ومن أجناس التين تين الجميز وهو تين حلو رطب له معاليق طوال ويزبب . وضرب آخر من الجميز حملة كالتين فى الخلقة وورقه أصغر من ورق التين وتينه أصفر صغار واسود ويكون بالقور ويسمى التين الذكر والاصفر منه حلو والاسود يدمى الفم وليس لتينه علاقة بل لاصق بالعود

ومن ذلك البلسان فانه لايوجد اليوم الا بمصر بعين شمس فى موضع محاط عليه محتفظ به مساحته نحو سبعة أفدنة وارتفاع شجرته نحو ذراع وأكثر من ذلك ، وعليها قشران الأعلى أحمر خفيف والأسفل أخضر ثخين ، واذا مضغ ظهر فى الفم منه دهنيته ورائحة عطرة وورقه شبيه بورق السنداب ، ويجتنى دهنه عند طلوع الشعرى بأن تشدخ السوق بعد مايحت عنها جميع ورقها وشدخها يكون بحجر يتخذ محددا ويفتقر شدخها الى صناعة بحيث يقطع القشر الاعلى ويشق الاسفل شقا لاينفذ الى الخشب فان نفذ الى الخشب لم يخرج منه شيء . فاذا شدخه كما وصفنا أمهله ريثما يسيل لثاه على العود فيجمعه بأصبعه مسحا الى قرن فاذا امتلأ صبه فى قنانى زجاج ولا يزال كذلك حتى ينتهى جناه وينقطع اثاه ، وكلما كثر الندى فى الجو كان لثاه أكثر وأغزر . وفى الجدب وقلة الندى يكون اللثا انزر ومقدار ما أخرج منه فى سنة ست وتسعين وخمس مائة وهى عام جدب نيف وعشرون رطلا . ثم تؤخذ القنانى فتدفن فى القيظ وحمارة الحر وتخرج من الدفن وتجعل فى الشمس ثم تتفقد كل يوم فيوجد الدهن وقد طفا فوق رطوبة مائية وأثقال أرضية ... الدهن ثم يعاد الى الشمس ولا يزال كذلك يشمسها ويقطف ... حتى ... فيؤخذ ذلك الدهن ويطبخه قيمه فى الخفية لايطلع على ... ذلك . ومقدار الدهن الخالص من اللثا بالترويق ... الذى يحصل من ... ان ... كان بأرض ... فلسطين شيئاً البتة وقال

نيقولاوس فى كتاب النبات : ومن النبات ماله رائحة طيبة فى بعض أجزائه ومنه
مارائحته الطيبة فى جميع أجزائه كالبلسان الذى يكون فى الشام بقرب بحر الزفت
والبير التى يسقى منها تسمى بيرالبلسم وماؤها عذب . وقال ابن سمجون انما يوجد
فى زماننا هذا بمصر فقط ويستخرج دهنه عند طلوع كلب الجبار وهو الشعرى
وذلك فى شباط ومقدار مايخرج مابين خمسين رطلا الى ستين ويباع فى مكانه
بضعفه فضة . وكانت هذه الحال قد كانت فى زمن ابن سمجون وحكى عبد الرازى
أن بدله دهن الفجل وهذا بعيد والبلسان الدهنى لايثمر وانما تؤخذ منه فسوخ
فتغرس فى شباط فتعلق وتنمى وانما الثمر للذكر البرى ولا دهن له ويكون بنجد
وتهامه وبرارى العرب وسواحل اليمن وبأرض فارس ويسمى البشام ويربى
قشره قبل استخراج دهنه فيكون نافعا من جميع السموم وأما خواصه ومنافعه
فالأليق بها غير هذا الكتاب

ومن ذلك القلقاس وهو أصول بقدر الخيار ومنه صغار كالأصابع يضرب
الى حمرة خفيفة يقشر ثم يشقق على مثل السلجم وهو كثيف مكتنز يشابه الموز
الأخصر الفج فى طعمه وفيه قبض يسير مع حرافة قوية وهذا دليل على حرافته
ويبسه فاذا سلق زالت حرافته جملة وحدث له مع مافيه من القبض اليسيرلزوجة
مغرية كانت فيه بالقوة الا ان حرافته كانت تخفيها وتسترها ولذلك صار غذاؤه
غليظاً بطىء الهضم ثقيلا فى المعدة الا أنه لما فيه من القبض والغلاصة صار مقويا
للمعدة حابسا للبطن اذا لم يكثر منه . ولما فيه من اللزوجة والتغرية صار نافعاً
من سحج المعا وقشره أقوى على حبس البطن من جرمه لان قبضه أشد ويطبخ
فى السماقية وغيرها فيعود فى المرقة لزوجة يعافها من لايعتادها ولكن اذا سلق
وصبت سلاقته ثم قلى بالدهن حتى يتورد فلا بأس به . والغالب على مزاجه الحرارة
والرطوبة ويظهر من حاله أنه مركب من جوهرين جوهر حار حريف يذهب
بالطبخ وجوهر أرضى مائى ينسو بالطبخ . وذلك كما فى البصل والثوم وما كان
كذلك فهو نيئا دواء ومطبوخا غذاء وقد رأيته بدمشق لكن قليلا . ورأيته اذا
[illegible] خشبياً كالقسط سواء . وأما ورقه فورق مستدير واسع على شكل خف
[illegible] يكون قطر الورقة مابين شبر أو شبرين ولكل

ورقة قضيب مفرد فى غلظ الاصبع وطول شبرين أو أزيد ونبات كل قضيب من الأصل الذى فى الارض اذ ليس لهذا النبات ساق ولا ثمر أيضاً ، وورق القلقاس شديد الخضرة رقيق البشرة شبيه بورق الموز فى خضرته ونعمته وررونقه ونضارته وقال ديوسقوريدس ان لهذا النبات زهراً على لون الورد فاذا عقد عقد شيئاً شبيها بالجراب كأنه تفاحة الماء وفيه باقلى صغير أصغر من الباقلى اليونانى يعلو موضعه المواضع التى ليس فيها باقلى فمن أراد ان يزرعه قائما يأخذ ذلك الباقلى ويصيره فى كتل طين ويلقيها فى الماء فينبت ، ورغم أنه يؤكل طريا ويابساً وأنه يعمل منه دقيق يشرب كالسويق ويعمل منه حسو فيقوى المعدة وينفع من الاسهال المرىء وسحوج الامعاء . وان الشىء الاخضر الذى فى وسطه المر الطعم اذا سحق وخلط بدهن وقطر فى الاذن سكن وجعها . وقال الاسرائيلى أما نحن فشاهدنا له زهرا قال ورأيت أصل هذا النبات اذا خزن فى المنازل وجاء وقت نباته تفرع من الباقلى اللاصق به فروع وأنبت من غير ان يظهر له زهر ولا ثمر لكن لون الباقلاء نفسها كلون زهر الورد لانها حين تبرز وتأخذ فى النبات يخرج مايبرز منها حسن البياض يعلوه تورد يسير . قال وما وجدنا له جفافا يمكن معه ان يكون منه سويق ولا رأيناه السنة كلها الا رطباً مثل بصل النرجس وبصل الزعفران ونحوه . قال ولم نر فى وسطه هذا الاخضر الذى ذكره ديوسقوريدس ولا وجدناه السنة كلها الا كالموز الاخضر . أقول كلا بل الحق ماقاله ديوسقوريدس وانه حتى يقبل السحق ويمكن ان يتخذ منه السويق وهذا رأيناه عيانا وانه اذا جف لافرق بينه وبين الزنجبيل فى المنظر سوى ان القلقاس أكبر وتجد فى طعمه حدة ولذعا وأقول عن حدس صاعى مبدؤه المشاهدة والسماع ان القلقاس زنجبيل مصرى ‹كسبته الارض رطوبة فقلت حرارته وحدته كما ان الزنجبيل الزنجى ... [illegible] وأحد من الحبشى . و[illegible] يطبخون بها يطبخ المصريون بالقلقاس لكن [illegible] جدا . [illegible] جماعة من التجار وأرباب المعرفة [illegible] بالهند [illegible] القلقاس [illegible] كذلك ورقه [illegible] وبين الزنجبيل فى الصورة

مع حدة ، ولذع يسير . وقال له آخر ان نبات الزنجبيل يشبه نبات البصل مع ان القلقاس يكون فى تلك البلاد وكأنه بستانى ، وقال على بن رضوان القلقاس أسرع الأغذية استحالة الى السوداء وقال غيره من أطباء مصر ان القلقاس يزيد فى الباءة . وفى كل نظر لا يليق بهذا الكتاب

ومن ذلك الموز وهو كثير باليمن والهند ورأيته بالغور وبدمشق مجلوبا وكونه من فراخ تظهر من أصل شجرته كما تظهر الفسلان من النخلة ، وتسمى المثمرة الام فاذا أخذت ثمرتها قطعت هى أيضا وخلفها أكبر نباتها وترتفع قامته الى قامتين وكأنها نخلة لطيفة ، وزعموا أن شجر الموز فى الاصل مركب من قلقاس ونوى النخل تجعل النواة فى جوف القلقاسة وتغرس ، وهذا القول وان كان ساذجا من دليل يشهد له فالحس يسوغه . وذلك أنه تجد لشجرته سعفا كسعف النخل سواء إلا أنك ينبغى أن تتخيل الخوص اتصل بعضه ببعض حتى صار كأنه ثوب حرير أخضر قد نشر أوراقه خضراً ترف ريا وطراءة وكان الرطوبة اكتسبها من القلقاس والشكل اكتسبه من النخل . وأنت تعلم أن تشقق سعف النخل الى الخوص انما كان من قبل اليبس الغالب على مزاج النخل . ولكثرة رطوبة الموز بقى سعفه متصل الخوص ولم يتشقق . فعلى هذا يكون القلقاس له بمنزلة المادة والنخل بمنزلة الصورة . وأنت اذا تأملت خشب الموز وورقه بعد يبسه ألفيت فيه تلك الشظايا والخيوط التى تجدها فى جذع النخل وسعفه إلا أنك تجدها مشوبة برطوبة قد ألحمت بينها وملأت فرجها وأن كان القلقاس لاينفك من ذلك أيضا ويشبهه آكله سقلوا وأما الثمر فانك تراه أعذاقا كأعذاق النخل قد تحمل شجرته خمسماية موزة فصاعدا ويكون فى منتهى العذق موزة تسمى الأم ليس فيها لحم ولا تؤكل واذا شققت وجدت مؤلفة من قشور داخل كل قشرين منها متقابلان يحتوى كل واحد منهما على نصفها طولا وتحت كل قشر عند القاعده زهر أبيض بقدر الفستق أو كزهر النارنج عدده احدى عشر فى صفين لاينقص عن هذا العدد ولا يزيد إلا واحداً نادرا فهذا القشر بمنزلة كفرى الطلع والزهر بمنزلة الطلع نفسه وتنشق هذه القشور من تلقاء أنفسها على التدريج الاعلى فالاعلى فيظهر ذلك الزهر أبيض ... رقيق رطوبة تعلوه فيتساقط وتعقد عنه الموزة صغيرة فاذا أخذت فى

النمو قليلا انشق قشر آخر على الرسم ولا يزال كذلك حتى ينتهى العذق ، وتجد قشر الموزة كقشر الرطبة إلا أنه غليظ جداً بما اكتسبه من مادة القلقاس ، ولحمها حلو فيه تفاهة كأنه رطب مع خبز فالحلاوة له من الرطب والتفاهة من القلقاس .

وأما شكلها ففى شكل الرطبة الا أنها بقدر الخيارة الكبيرة تميل الى الصفرة والبياض فالصفرة من الرطب والبياض من القلقاس . وحين مايقطع يكون شديد الخضرة جدا لا يصلح للأكل فاذا دفن أياما اصفر وصلح للأكل ثم أنك تجده شحمة واحدة ليس فيها نوى ولا مايرمى سوى القشر فقط بل تراه كأنه قطعة خبيص ناعم المضغ يسترط بسهولة واذا أنت تأملته فى ضياء الفيت فى وسطه حباً كثيراً أصغر من الخردل يضرب الى السواد والشقرة شبيه بحب التين لكنه فى غاية اللين فهذا كأنه رسم نوى الرطب الا أنه لزيادة رطوبته لان وتفرق واختلط باللحم وانساغ معه فى الاكل . وله رائحة عطرة لابأس بها فيها خمرة ما والحشأ العارض لآكله بعد أخذه فى الهضم طيب الرائحة وهو حار رطب ورطوبته أزيد من حراراته وكأنه حار فى الاولى رطب فى الثانية يزيد فى المياه ويدر البول ويحدث تفجأ ولا يبعد فى طبعه هذا عن الرطب الا بكثرة رطوبته التى اكتسبها من القلقاس . فهذا أن كان من تركيب الصناعة فقد صدق الخبر الخبر .

وان كان من تركيب الطبيعة فان لها ايضا تركيبات عجيبة متقنه من أصناف الحيوان والنبات فتكون الموز من جملتها . وقال ا و حنيفة الموز معادنه عمان وتنبت الموزة نبات البردية لها عمرة غليظة وورقة عريضة نحو ثلاث اذرع فى ذراعين ليست بمنحرطة على نبات السعف لكن شبه مربعة . وترتفع الموزة قامة باسطة ولا تزال فراخها تنبت حولها واحدة أصغر من الاخرى فاذا أجرت وذلك ادراك موزها قطعت الام حينئذ من أصلها وتؤخذ قنوها ويطلع اكبر فراخها فيصير [illegible] الام [illegible] ولا تزال على هذا أبد الدهر . ولذلك قال الشعب [illegible] فيما يروى عنه الاصمعى [illegible] لم لاتكون مثلى ؟ فقال أنا مثل الموز لاتصلح حتى تموت أمها [illegible] أثمارها [illegible] وبين [illegible] أقنائها [illegible] تجار الهند حصراً حسنة

لطيفة موشاة ذات وجهين ألوانها أحسن الالوان وأصباغها زهر خالصة كأنها الوان الحرير عرض الحصير منها نحو ذراعين ونصف وهو أسلة واحدة ليس فيه وصل فجعلت اعجب من طول الاسل الذى يسمى بعصر السمار ، فذكر لى أنه ليس به وانما هو متخذ من ورق الموز الهندى بان يؤخذ العسيب فيشقق ويجفف ثم يصبغ وينسج منه هذه الحصير . ويباع الحصير منها فى المعبر بدينارين وفيها ما يباع بدرهمين وأرانى من كلا الصنفين

وأما المحمضات فيوجد بأرض مصر منها أصناف كثيرة لم أرها بالعراق من ذلك أترج كبار يعز وجود مثله ببغداد ومن ذلك أترج حلو ليس فيه حماض ومن ذلك الليمون المركب وهو أصناف أيضاً ويوجد فيه ماهو بقدر البطيخة ومن ذلك الليمون المختم وهو أحمر شديد الحمرة أقنى حمرة من النارنج شديد الاستدارة مفلطح من رأسه وأسفله مفضوخ فيهما بختمين

ومن ذلك ليمون البلسم وهو فى قدر الابهام وكالبيضة المطاولة ، وفيه ما هو مخروط صحيح يبتدىء من قاعدة وينتهى الى نقطة واما لونه وريحه وشحمه وحماضه فلا يغادر من الاترج شيئا

وقد يوجد أترج فى جوفه أترج بقشر أصفر أيضا ، وخبرنى صادق أنه وجد فى جوف أترجة سبع أترجات صغار كل واحدة يحيط بها قشر تام والذى رأيته أنا أترجه فى جوفها أترجة ليست تامة وقد رأيت منه شيئا بالغور وهذا الاترج المداخل انما يكون فى ذى الحماض . ثم ان هذه الانواع يركب بعضها على بعض فتتولد منها أصناف كثيرة جداً

ومن ذلك صنف من التفاح يوجد بالاسكندرية ببستان واحد يسمى بستان القطعة وهو صغار جداً قانى الحمرة وأما رائحته فتفوق الوصف وتعلو على المسك وهو قليل جدا

وأما القرط فيسمى بالعراق الرطبة وبالشام الفصة وبالفارسية أسفست

وأما النخل فكثير لكن اذا قيست ثمرته بثمرة نخل العراق وجدت كأنها قد طبخت طبخة خرج بها معظم حلاوتها وبقيت ناقصة القوة . ومما يسميه أهل [illegible] مصر التمر وأما التمر بالعراق فيسمونه العجوة وقلما

تجد عندهم مايشابه تمر العراق الا نادرا ويكون ذلك نخيلا معدودة تهدى تحفة

وأما الماش وهو المج، فلا يزرع بمصر أصلا وانما يوجد عند العطارين مجلوبا من الشام ويباع بالاوقى للمرضى . وأما الذرة والدخن فلا يعرفان بمصر اللهم الا بالصعيد الاعلى وخاصة الدخن

ومما تختص به مصر الافيون وهو يجتنى من الخشخاش الاسود بالصعيد وكثيرا مايغشه جناته وربما غشوة بالعذرة، وعلامة الخالص منه أن يذوب فى الشمس ويقد فى السراج بلا ظلمة واذا طفى تكون رائحته قوية والمغشوش يسوس سريعا . وأرسطو ينهى عن خلطه بدواء العين والاذن لانه يعمى ويصم

ومن ذلك الاقاقيا وهو عصارة ورق شجر القرظ وثمره يستخرج ماؤه بالدق والعصر ويجعل فى أوان مرحرحة تلقاء الشمس حتى يغلظ ثم يقرص . هذا هو الخالص الخاص وأمام العام الذى يجلب الى البلاد فانه يؤخذ القرظ فيطحن ويعجن بماء الصمغ ثم يقبض ويختم ويجفف وشجرته هى السنط وتسمى الشوكة المصرية وورقها هو القرظ بالحقيقة ويدبغ به الجلود وعصارة القرظ التى يتخذ منها الاقاقيا تسمى رب القرظ ونساء مصر يشربن عصارته ونقيعه للاسهال . والسنط شجر عظام جدا له شوك كثير حديد صلب أبيض وله ثمر يسمى خروب القرظ مدور مسطوح مشاكل لحب الترمس الا أنه متصل كقرون اللوبيا وفى داخله حب صغار . واذا اتخذ الاقاقيا من القرظ قبل كمال نضجه كان أكثر قبضا وأقوى على حبس الطبيعة . واذا اتخذ مما استحكم نضجه لم يقو على حبس البطن وعلامته ان يكون شديد السواد مشرق اللون . وقال الدينورى القرظ شجر عظام كشجر الجوز وخشبه صلب كالحديد واذا قدم أسود كالابنوس وورقه يشبه ورق التفاح وله حملة مثل قرون اللوبيا د[illegible] حب يوضع فى الموازين ويدبغ بورقه وثمره [illegible] القيعة [illegible] الحلال وحملة القرظ أصغر من عاف الطلح واذا رعته الابل حرمت [illegible] حتى أبعارها [illegible] عصرا قد جمع وتسمى [illegible] . وما كان من [illegible] بأرض مصر [illegible] وهو ذلك [illegible] وله برمه [illegible]

ومن ذلك الفقوص وهو قثاء صغار لايكبر ولا يعد وأطوله الفتر وأكثره فى طول الأصبع وهو انعم من القثاء وأحلى ولا شك انه صنف منه وكانه الضغابيس فاما القتد وهو الخيار

ويوجد بمصر بطيخ يسمى العبدلى والعبدلاوى ، قيل أنه نسب إلى عبدالله ابن طاهر والى مصر عن المأمون . وأما المزارعون فيسمونه البطيخ الدميرى منسوب الى دميرة قرية بمصر وله أعناق ملتوية وقشره خفيف وطعمه مسخ قلما يوجد فيه حلو ويندر فيه ماوزنه ثلاثون رطلا وأكثر . والغالب عليه ما بين رطل الى عشرة أرطال ، وأهل مصر يستطيبونه على البطيخ المولد المسمى عندهم بالخراسانى والصينى ويزعمون أنه نافع ، ويأكلونه بالسكر وطعمه أشبه شىء بالصنف المسمى بالعراق الشلنق لكنه ألذ منه وانعم وشكله وشكل يقطين العراق الا ان لونه حسن الصفرة جداً وفى ملمسه حراشه وتخييش وصغاره قبل أن تبلغ تكون كلون اليقطين وشكله وكطعم القثاء لها بطون وأعناق وتباع بالفقوص وتسمى العجور ، وأخبرنى مزارعه أن العادة جارية بأن ينق حقله كل يوم فما يرى مزارعه أن يقطعه صغيراً أخضر قطعه وباعه بالعجور وما يرى أنه يتركه حتى يكبر ويبلغ ويصفر كان منه البطيخ العبدلى وقلما تجد فى بطيخ مصر ماهو صادق الحلاوة لكنه لايوجد فيه مدود ولا فاسد بل الغالب عليه التفاهة المائية . وجميع أصناف البطيخ بها يباع بالميزان سوى البطيخ الاخضر . وأما البطيخ الاخضر فانه يسمى بالغرب الدلاع وبالشام البطيخ الرتى وبالعراق البطيخ الرقى ويسمى أيضاً الفلسطينى والهندى وأما اليقطين الذى يقصره الجمهور على الدباء فيكون بمصر مستطيلا وفى شكل القثاء ويبلغ فى طوله الى دراعين وفى قصره الى شبر . وأما الباقل الاخضر المسمى عندهم بالفول فانه يتواصل نحو ستة أشهر وكذلك الورد والياسمين يدوم جميع السنة ولا يزال شجرته مزهرة ومنه أبيض وأصفر والأبيض أكثر وأعطر ومنه يتخذ دهن الزنبق بدمياط خاصة وكذلك الليمون وانما يقل ويكثر فقط . والبنفسج بمصر عطر جداً لكن لايحسنون اتخاذ دهنه ولا معجونه . والسفرجل بمصر ردىء جداً صغير عفص

قال . وأما تفاحها فلا بأس به وان كان رديا . وأما رمانها ففي غاية الجودة الا انه ليس بصادق الحلاوة

وأما القراسيا فلا يوجد بمصر بل بالشام وبلاد الروم وغيرهما . وانما بمصر صنف من الأجاص صغار حامض يسمونه القراسيا ومثل هذا الصنف ، بدمشق يسمونه خوخ الدلب لان الاجاص بالشام يسمى خوخا والخوخ دراقنا والكمثرى أجاصاً

ومما يكثر بمصر شجر خيار شنبر وهو شجر عظام شبيه بشجر الخروب الشامي وزهره كبير أصفر ناضر ذو رواء وبهجة فاذا عقد تدلى ثمره كالمقارع الخضر . وبها شجر اللوز . والسدر بها كثير وثمره النبق حلوجداً . والنيل يكثر بها ولكنه دون الهندي

الفصل الثالث

فيما تختص به من الحيوان

من ذلك حضانة الفراريج بالزبل فانه قلما ترى بمصر فراريج عن حضان الدجاجة وربما لم يفرقوه أيضاً وانما ذلك عندهم صناعة ومعيشة يتجر فيها ويكتسب منها وتجد في كل بلد من بلادهم مواضع عدة تعمل ذلك . ويسمى الموضع معمل الفروج وهذا المعمل ساحة كبيرة يتخذ فيها من البيوت التي يأتي ذكرها مابين عشرة أبيات الى عشرين بيتاً في كل بيت الفا بيضة ويسمى بيت الترقيد . وصفته ان يتخذ بيت مربع طوله ثمانية أشبار في عرض ستة في ارتفاع أربعة ويجعل له باب في عرضه سعته شبران وعقد في مثله وتجعل فوق الباب طاقة مستديرة قطرها شبر ثم تسقف بأربع خشبات وفوقها سدة قصب يعني نسيجاً منه وفوقه ساسي وهو مشاقة الكتان وحطبه . ومن فوق ذلك الطين ثم يرصص بالطوب ويطين سائر البيت ظاهره وباطنه وأعلاه وأسفله حتى لا يخرج منه بخار ويبقى ان يتخذ في وسط السقف شباك سعته شبر في شبر فهذا السقف يحكي صدر الدجاجة . ثم تتخذ حوضين من الطين المخمر بساس طول الحوض ستة

أشبار وعرضه شبر ونصف وسمكه عقدة أصبع وحيطانه نحو أربع أصابع. ويكون هذا الحوض لوحا واحدا تبسطه على أرض معتدلة. وهذا الحوض يسمى الطاجن فاذا جف الطاجنان ركبتهما على طرف السقف احدهما على وجه الباب والآخر قباله على الطرف الآخر تركيبا محكما وأخذت وصولها بالطين أخذا متفقا وينبغي أن يكون قعود الطاجنين على خشب السقف بحيث يماسانه. وهذان الطاجنان تحاكى بهما جناحا الدجاجة ثم يفرش البيت بقفة تبن ويمهد ويفرش فوقه ضب أو ديس يعنى حصيرا برديا على مقداره سواء ثم يرصف فوقه البيض رصفا حسنا بحيث يتماس ولا يتراكب لتتواصل الحرارة فيه ومقدار مايسع هذا البيت ، المفروض الفا بيضة وهذا الفعل يسمى الترقيد ضقة الحضانة تبتدىء. وتسد الباب بأن ترسل عليـــه لبدا مهندما ثم تسد الطاقة بساسى والشباك أيضاً بساسى وفوقه زبل حتى لايبقى فى البيت منفس للبخار. وتلقى فى الطاجنين من زبل البقر اليابس قفتين وذلك ثلاث ويبات وتوقد فيه نار سراج من جميع جهاته وتهمله ريثما يرجع رمادا وانت تتفقد البيض ساعة بعد أخرى بأن تضعه على عينك ، وتعتبر حرارته وهذا الفعل يسمى الزواق فان وجدته يلذع العين قلبته ثلاث تقليبات فى ثلاث دفعات تجعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله. وهذا يحاكى تقليب الدجاجة للبيضة بمنقارها وتفقدها اياها بعينها وهـذا يسمى السماع الاول ، فاذا صار الزبل رماداً ازلته وتركته بلا نار الى نصف النهار ان كان ترقيده بكرة. وان كان ترقيده من أول الليل حرسته الى ان تحمى وتسمع النار كالسياقة المتقدمة ثم تخلى الطاجنين من النار الى بكرة ثم تجعل فى الطاجن الذى على باب البيت من الزبل ثلاثة أقداح وفى الطاجن الذى على صدر البيت قدحين ونصفا ومد الزبل بمرود غليظ وأطرح فى كل منهما النار فى موضعين منه وكلما خرجت من البيت بعد تفقده فارخ الستر ، وأياك وان تغفل عنه لئلا يخرج البخار ويدخل الهواء فيفسد العمل واذا كان وقت العشاء وصار الزبل رمادا ونزل الدفء الى البيض أسفل البيت فغير الرماد من الطاجن بزبل جديد مثل الاول وانت كل وقت تلمس البيض وتزوقه بعينك فان وجدت حرارته زائدة عن الاعتدال تلذع

العين فاجعل مكان الثلاثة الاكيال الطاجن الباب كيلين وربما وفى طاجن الصدر كيلين فقط ولا تزال تواصل تغيير الرماد وتجديد الزبل والايقاد حتى لا ينقطع الدفء مدة عشرة أيام بمقدار ماتكمل الشخوص بمشيئة الله وقدرته ، وذلك نصف عمر الحيوان ، ثم تدخل البيت بالسراج وترفع البيض واحدة واحدة وتقيمها بينك وبين السراج ، فالتى تراها سوداء ففيها الفرخ والتى تراها شبه شراب أصفر فى زجاج لاعكر فيه فهى لاح بلا بذر وتسمى الارملة فاخرجها فلا منفعة فيها ، ثم عدل البيض فى البيت بعد تنقيته وأخرج اللاح عنه وهذا الفعل يسمى التلويح. ثم تصبح بعد التلويح تنقص الزبل من العيار الاول ملء كفك من كل حوض بكرة ومثله عشية حتى ينصرم اليوم الرابع عشر ولم يبق من الزبل شيء ، فحينئذ يكمل الحيوان ويشعر ويتفتح ، فاقطع اذ النار عنه فان وجدته زائد الحرارة يحرق العين فافتح الطاقة التى على وجه الباب وابقها كذلك يومين ثم ذقه على عينك فان وجدته غالب الحرارة فافتح نصف الشباك وانت مع ذلك تقلبه وتخرج البيض الذى فى الصدر الى جهة الباب والبيض الذى فى جهة الباب ترده الى الصدر حتى يحمى البارد الذى كان فى جهة الباب ويستريح الحار الذى فى الصدر يشم الهواء فيصير فى طريقة الاعتدال ساعة يحمى وساعة يبرد ، فيعتدل مزاجه وهذا الفعل يسمى الحضانة كما يفعل الطير سواء ، وتستمر على هذا التدبير دفعتين فى النهار ودفعة فى الليل الى تمام تسعة عشر أيضا فان الحيوان ينطق فى البيض بقدرة الله تعالى وفى يوم العشرين يطرح بعضه ويكسر القشر ويخرج وهذا يسمى التطريح وعند تمام اثنين وعشرين يوما يخرج جميعه . وأحمد الاوقات لعمله أمشير وبرمهات وبرمودة . وذلك فى شباط واذار ونيسان . لان البيض فى هذه المدة يكون غزير الماء كثير البذرة صحيح المزاج والزمان معتدل صالح للنشأة والتكوين وينبغى أن يكون البيض طريا وفى هذه الاشهر يكثر البيض ايضا

ومن ذلك الحمير . والحمير بمصر فارهة جداً . وتركب بالسروج وتجرى مع الخيل والبغال النفيسة وأحلها تسبقها . وهى مع ذلك كثيرة العدد ومنها ماهو غال بحيث اذ ركب بسرج اختلط مع البغلات ، يركبه رؤساء اليهود والنصارى ويبلغ ثمن الواحد منها عشرين دينارا الى أربعين

وأما بقرهم فعظيمة الخلق حسنة الصور، ومنها صنف هو أحسنها واغلالها قيمة يسمى البقر الخيسية وهى ذوات قرون كأنها القسى غريزات اللبن

وأما خيلها فعتاق سابقة ومنها مايبلغ ثمنه ألف دينار الى أربعة آلاف، وهم ينزون الخيل على الحمير والحمير على الخيل فتأتى البغلة وأمها أتان ولكن هذه البغال لاتكون عظيمة الخلق كالتى أمهاتها مهورة لأن الأم هى التى تعطى المادة

ومن ذلك التماسيح. والتماسيح كثيرة فى النيل وخاصة فى الصعيد الأعلى وفى الجنادل فانها تكون فى الماء وبين صخور الجنادل كالدود كثرة وتكون كباراً أو صغاراً، وتنتهى فى الكبر الى نيف وعشرين ذراعا طولا، وتوجد فى سطح جسده مما يلى بطنه سلعة كالبيضة تحتوى على رطوبة دموية وهى كنافجة المسك فى الصورة والطيب، وخبرنى الثقة أنه يندر فيها مايكون فى غلو المسك لاينقص عنه شيئاً والتمساح يبيض بيضاً شبيهاً ببيض الدجاج، ورأيت فى كتاب منسوب الى ارسطو ما هـــذه صورته، قال التمساح كبده تهيج الجماع وكليتاه وشحمه فى ذلك أبلغ ولا يعمل فى جلده الحديد ومن فقار رقبته الى ذنبه عظم واحد ولهذا اذا انقلب على ظهره لم يقدر أن يرجع، قال ويبيض بيضاً طويلا كالاوز ويدفنه فى الرمل فاذا أخرج كان كالحراذين فى جسمها وخلقتها ثم يعظم حتى يكون عشر أذرع وأيضن ويبيض ستين بيضة لأن خلقته تجرى على ستين سناً وستين عرقا واذا سفد منى ستين مرة وقد يعيش ستين سنة

ومن ذلك الدلفين ويوجد فى النيل وخاصة قرب تنيس ودمياط

ومن ذلك الاسقنقور ويكون بالصعيد وبأسوان كثيراً ويكون من نتاج التمساح فى البر. وهوصنف من الورل بل هو ورل إلا أنه قصير الذنب. والورل والتمساح والحرذون والاسقنقور وسميكة صيدا كلها شكل واحد وانما تختلف بالصغر والكبر والتمساح أعظمها وسميكة صيدا أصغرها تكون بقدر الاصبع وتصلح لمايصلح له الاسقنقور من تسخين الاعضاء والانعاظ. وكان التمساح ورل بحرى والورل تمساح برى والجميع يبيض بيضا. السقنقور يكون بشطوط النيل ومعيشته فى البحر السمك الصغار وفى البر القطا ونحوه. ويسترط غذاءه استراطاً

ويوجد لذكورته خصيان كخصى الديكة وفى مقدارهما ومواضعهما . وأناثه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها فى الرمل فيكمل كونها بحرارة الشمس فعلى هذا انما هو نوع برأسه . وقال ديوسقوريدس أنه يكون بنواحى القلزم وبمواضع من بلاد الهند وبلاد الحبشة ، ويفارق الورل بمأواه فان الورل جبلى والسقنقور برى مائى لانه يدخل فى ماء النيل . ثم ان ظهر الورل خشن صلب وظهر السقنقور لين ناعم . ولون الورل اصفر أغبر ولون السقنقور مدبج بصفرة وسواد والمختار من الاسقنقور انما هو الذكر دون الانثى ويصاد فى الربيع لأنه وقت هيجانه للسفاد فاذا اخذ ذبح فى مكانه وقطعت اطرافه ولا يستقصى قطع ذنبه ، ويشق جوفه ويخرج حشوه إلا كشبته وكلاه ثم يحشى ملحاً ويخاط ويعلق فى الظل حتى يجف ويرفع ويسقى من كلاه ومتنه وشحمه وسرته من مثقال الى ثلاثة مثاقيل بماء العسل او بمطبوخ او بصفرة بيض نيمرشت وحده او مع بزر جرجير وخصى ديوك مجفف مدقوق وقد يفعل ملحه ذلك اذا خلط بالادوية البائية وقد يركب مع غيره من الادوية الا إن استعماله مفرداً اقوى له

ومن ذلك فرس البحر وهذه توجد بأسافل الارض وخاصة ببحر دمياط . وهو حيوان عظيم الصورة هائل المنظر شديد الباس يتبع المراكب فيغرقها ويهلك من ظفر به منها ، وهو بالجاموس أشبه منه بالفرس لكنه ليس له قرن وفى صوته صهلة تشبه صهيل الفرس بل البغل . وهو عظيم الهيئة هريت الاشداق حديد الانياب عريض الكلكل منتفخ الجوف قصير الارجل شديد الوثب قوى الدفع مهيب مخوف الغائلة . وخبرنى من اصطادها مرات وشقها وكشف عن أعضائها الباطنة والظاهرة أنها خنزير كبير وأن أعضاءها الباطنة والظاهرة لاتغادر من صورة الخنزير شيئاً الا فى عظم الخلقة . ورأيت فى كتاب ينطوالبس فى الحيوان مايعضد ذلك وهذه صورته قال خنزيرة الماء تكون فى بحر مصر وهى تكون فى عظم [illegible] ورأسها يشبه رأس [illegible] وذنبها [illegible] خف الجمل قال وشحم [illegible] اذا أذيب [illegible] سريق [illegible] امرأة [illegible] حتى تحرر المقدار . وكانت واحدة ببحر دمياط قد ضربت فى المراكب [illegible] وضربت أخرى [illegible] والسل

وأعمل الناس فى قتلها كل حيلة من نصب الحبائل الوثيقة وحشد الرجال بأصناف السلاح وغير ذلك فلم يجد شيئاً ، فاستدعى بنفر من المريس صنف من السودان زعموا أنهم يحسنون صيدها وأنها كثيرة عندهم ومعهم مزاريق فتوجهوا نحوها فقتلوها فى أقرب وقت وباهون سعى وأتوا بها الى القاهرة فشاهدتها فوجدت جلدها أسود أجرد ثخينا وطولها من رأسها الى ذنبها عشر خطوات معتدلات وهى فى غلظ الجاموس نحو ثلاث مرات وكذلك رقبتها ورأسها وفى مقدم فمها اثنا عشر نابا ستة من فوق وستة من أسفل المتطرفة منها نصف ذراع زايد والمتوسط أنقص بقليل وبعد الانياب أربعة صفوف من الاسنان على خطوط مستقيمة فى طول الفم فى كل صف عشرة كأمثال بيض الدجاج المصطف صفان فى الأعلى وصفان فى الاسفل على مقابلتهما واذا فغر فوها وسع شاة كبيرة وذنبها فى طول نصف ذراع زائد أصله غليظ وطرفه كالاصبع ، اجرد كأنه عظم شبيه بذنب الورل وأرجلها قصار طولها نحو ذراع وثلث ولها شبه بخف البعير ، الا أنه مشقوق الاطراف بأربعة أقسام وأرجلها فى غاية الغلظ وجملة جثتها كأنها مركب مكبوب لعظم منظرها . وبالجملة هى اطول وأغلظ من الفيل الا ان أرجلها أقصر من أرجل الفيل بكثير ولكن فى غلظها أو أغلظ منها

ومن ذلك السمكة المعروفة بالرعاد لأنه من أمسكها وهى حية ارتعد رعدة لا يمكنه معها ان يتماسك ، وهى رعدة بقوة وخدر شديد وتنمل فى الاعضاء وثقل بحيث لا يقدر ان يملك نفسه ولا ان يمسك بيده شيئاً أصلا ويترافى الخدر الى عضده وكتفه والى جنبه بأسره حين مايلمسها أيسر لمس فى أسرع وقت . وخبرنى صيادها أنها اذا وقعت فى الشبكة أعترى الصياد ذلك اذا نى يدها وبينه مقدار شبر او أكثر من غير ان يضع يده عليها وهى اذا ماتت تطلت هذه الخاصة منها . وهى من السمك الذى لا تفليس له ولحمه قليل الشوك كثير الدسم ولها جلد ثخين فى ثخن الاصبع ينسلخ منها بسهولة ولا يمكن أكله ويوجد فيها الصغير والكبير ما بين رطل الى عشرين رطلا وذكر من يكثر السياحة بنواحيها أنها اذا مست بدن السابح خدر الموضع أين كان ساعة ، بحيث يكاد يسقط . وتكثر بأسافل الارض وبالاسكندرية

وأما أصناف السمك عندهم فكثيرة لانه يجتمع اليهم سمك النيل وسمك البحر الملح ولا يفي القول بنعتها لكثرة أصنافها واختلاف أشكالها وألوانها ومنها الصنف المسمى عندهم ثعبان الماء وهي سمكة كالحية سواء. طولها مابين ذراع الى ثلاث أذرع، ومنها السرب وهي سمكة تصاد من بحر الاسكندرية يحدث لآكلها أحلام ردية مفزعة، ولا سيما الغريب ومن لم يعتدها والاحدوثات المضحكة فيها مشهورة

ومن ذلك الترسة وتسمى لجاة وهي سلحفاة عظيمة وزنها نحو أربعة قناطير إلا ان جفنتها أعني عظم ظهرها كالترس له أفاريز خارجة عن جسمها نحو شبر، ورأيتها بالاسكندرية يقع لحمها ويباع كلحم البقر وفي لحمها ألوان مختلفة مابين أخضر وأحمر وأصفر وأسود وغير ذلك من الالوان وتخرج من جوفها نحو أربعمائة بيضة كبيض الدجاج سواء الا أنه لين القشر واتخذت من بيضها عجة فلما جمد صار ألوانا مابين أخضر وأحمر وأصفر شبيهاً بألوان اللحم، ومن ذلك السرلينس وهو صدف مستدير الى الطول أكبر من الظفر ينشق عن رطوبة مخاطية بيضاء ذات نكتة سوداء يعافها الناظر وفيه ملوحة عذبة زعموا ويباع بالكيل.

الفصل الرابع

في اختصاص ما شوهد من اثارها القديمة

اما ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فشيء لم ار ولم اسمع بمثله في مثلها فاقتصر على اعجب ما شاهدته

فمن ذلك الاهرام. وقد اكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها. وهي كثيرة العدد جدا وكلها بين الجيزة وعلى سمت مصر القديمة وتمتد في نحو مسافة يومين وفي بوصير منها شيء كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط املس، وقد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار فهدمت في زمن صلاح الدين يوسف بن ايوب على يدي قراقوش بعض الامراء وكان خصيا روميا سامي الهمة فكان يتولى عمائر مصر وهو الذي بنى السور

من الحجارة محيطا بالفسطاط والقاهرة وما بينهما وبالقلعة التى على المقطم ، وهو ايضا الذى بنى القلعة وانبط فيها البيرين الموجودتين اليوم ، وهما ايضا من العجايب وينزل اليهما بدرج نحو ثلثماية درجة ، واخذ حجارة هذه الاهرام الصغار وبنى بها القناطر الموجودة اليوم بالجيزة وهذه القناطر من الابنية العجيبة ايضا ومن اعمال الجبارين وتكون نيفا واربعين قنطرة . وفى هذه السنة وهى سنة سبع وتسعين وخمسماية تولى امرها من لا بصيرة عنده فسدها رجاء ان يحتبس الماء فيروى الجيزة فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت ، ومع ذلك فلم يرو ما رجا ان يروى . وقد بقى من هذه الاهرام المهدومة قلبها وحشوتها وهى ردم وحجارة صغار لا تصلح للقناطر فلاجل ذلك تركت

واما الاهرام المتحدث عنها المشار اليها الموصوفة بالعظم فثلاثة اهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط ، وبينها مسافات يسيرة زواياها متقابلة نحو الشرق واثنان منها عظيمان جدا وفى قدر واحد وبهما اولع الشعراء وشبهوهما بنهدين قد نهدا فى صدر الديار المصرية وهما متقاربان جدا ومبنيان بالحجارة البيض . واما الثالث فينقص عنهما بنحو الربع لكنه مبنى بحجارة الصوان الاحمر المنقط الشديد الصلابة ولا يؤثر فيه الحديد الا فى الزمن الطويل وتجده صغيرا بالقياس الى ذينيك . فاذا قربت منه وافردته بالنظر هالك مرآه وحسر الطرف عند تأمله ، وقد سلك فى بناية الاهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على ممر الزمان بل على ممرها صبر الزمان . فانك اذا تبحرتها وجدت الاذهان الشريفة قد استهلكت فيها والعقول الصافية قد افرغت عليها مجهودها والانفس النيرة قد افاضت عليها اشرف ما عندها لها والملكات الهندسية قد اخرجتها الى الفعل مثلا هى غاية امكانها حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم وتنطق عن علومهم واذهانهم وتترجم عن سيرهم واخبارهم وذلك ان وضعها على شكل مخروط يبتدىء من قاعدة مربعة وينتهى الى نقطة . ومن خواص الشكل المخروط ان مركز ثقله فى وسطه وهو يتساند على نفسه ويتواقع على ذاته ويتحامل بعضه على بعض فليس له جهة اخرى خارجة عنه يتساقط عليها . ومن عجيب وضعه انه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح الاربع فان الريح تنكسر سورتها عند مصادمتها الزاوية

وليست كذلك عند ما تلق السطح ، ولنرجع الى ذكر الهرمين العظيمين فان المساح ذكروا ان قاعدة كل منهما اربع مائة ذراع طولا فى مثلها عرضا ، وارتفاع عمودها اربع مائة ذراع وذلك كله بالذراع السوداء وينقطع المخروط فى اعلاه عند سطح مساحته عشر اذرع فى مثلها واما الذى شاهدته من حالها فان رامياً كان معنا رمى سهماً فى قطر احدهما وفى سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة. وخبرنا ان فى القرية المجاورة لها قوما قد اعتادوا ارتقاء الهرم بلا كلفة فاستدعينا رجلا منهم ورضخنا له بشيء فجعل يصعد فيها كما يرقى أحدنا فى الدرج بل أسرع ورقى بنعليه وأتوا به وكانت سابقة كنت أمرته أنه إذا استوى على سطحه قاسه بعمامته فلما نزل ذرعنا من عمامته مقدار ماكان قاس فكان احدى عشرة ذراعا بذراع اليد ، ورأيت بعض أرباب القياس قال ارتفاع عمودها ثلثماية ذراع ونحو سبعة عشر ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات الاضلاع طول كل ضلع منها أربع مائة ذراع وستون ذراعا . وأرى هذا القياس خطأ ولوجعل العمود أربع مائة ذراع لصح قياسه . وان ساعدت المقادير توليت قياسه بنفسى وفى أحد هذين الهرمين مدخل يلجه الناس يفضى بهم الى مسالك ضيقة واسراب متنافذة وآبار ومهالك وغير ذلك مما يحكيه من يلجه ويتوغله ، فان ناساً كثيرين لهم غرام به وتخيل فيه فيوغلون فى أعماقه ولا بد ان ينتهوا الى مايعجزون عن سلوكه ، وأما المسلوك فيه المطروق كثيراً فزلاقه تفضى الى اعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناووس من حجر . وهذا المدخل ليس هوالباب المتخذ له فى اصل البناء وانما هو منقوب نقبا صودف اتفاقا . وذكر ان المأمون هو الذى فتحه وحل من كان معنا ولجوا فيه وصعدوا الى البيت الذى فى اعلاه فلما نزلوا حدثوا بعظيم ماشاهدوا وأنه مملوء بالخفافيش وأبوالها حى يكاد يمنع السالك ويعظم فيها الخفاش حتى يكون فى قدر الحمام وفيــــه طبقات . وروازنه نحو اعلاه وكأنها جعلت مسالك لمرور الريح ومنافذ للضوء . وولجته مرة اخرى مع جماعة وبلغت نحو تلك المسافة فاغمى على من خوف المطلع فرجعت برمق

وهذه الاهرام مبنية بحجارة جافية يكون طول الحجر منها ما بين عشر اذرع الى عشرين ذراعا وسمكه ما بين ذراعين الى ثلاث وعرضه نحو ذلك والعجب فى

وضع الحجر بهندام ليس فى الامكان اصح منه بحيث لاتجد بينهما مدخل ابرة ولا خلل شعرة وبينهما طين كأنه الورقة لا أدرى ماصفته ولا ماهو . وعلى تلك الحجارات كتابات بالقلم القديم المجهول الذى لم أجد بديار مصر من يزعم أنه سمع بمن يعرفه وهذه الكتابات كثيرة جداً حتى لو نقل ماعلى الهرمين فقط الى صحف لكانت زهاء عشرة آلاف صحيفة وقرات فى بعض كتب الصابئة القديمة أن أحد هذين الهرمين هو قبر اغاذيمون والآخر قبر هرميس ويزعمون انها نبيآن عظيمان وان اغاذيمون اقدم واعظم

وأنه كان يحج اليهما ويهوى نحوهما من أقطارالارض ، وقد وسعنا القول فى المنقول من الكتاب الكبير فمن أراد التوسعة فعليه ، فان هذا الكتاب مقصور على المشاهد

وكان الملك العزيز عثمان بن يوسف لما استقل بعد أبيه سول له جهلة أصحابه أن يهدم هذه الاهرام فبدأ بالصغير الاحمر وهو ثالثة الأثافى

فأخرج اليه الحلبية والنقابين والحجارين وجماعة من عظماء دولته وأمراء مملكته وأمرهم بهدمه ووكلهم بخرابه فخيموا عندها وحشروا عليها الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر بخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد بذل الجهد واستفراغ الوسع الحجر والحجرين ، فقوم من فوق يدفعونه بالأسافين والإعتال ، وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فاذا سقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف له الجبال وتزلزل الأرض ويغوص فى الرمل فيتعبون تعباً آخر حتى يخرجوه ثم يضربون فيه الاسافين بعدماينقبون لها موضعاً ويثبتونها فيه فيتقطع قطعاً فتسحب كل قطعة على العجل حتى تلقى فى ذيل الجبل وهى مسافة قريبة فلما طال تواؤهم ونفدت نفقاتهم وتضاعف نصبهم ووهت عظائمهم وحارت قواهم كفوا محسورين مذمومين لم ينالوا بغية ولا بلغوا غاية بل كانت غايتهم ان شوهوا الهرم وأبانوا عن عجز وفشل . وكان ذلك فى سنه ثلاث وتسعين وخمسمائة ، ومع ذلك فان الرائى لحجارة الهدم يظن أن الهرم قد استؤصل فاذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شىء وانما جانب قد كشط بعضه .

. . . شاهدت المشقة التى يجدونها فى هدم كل حجر سألت مقدم الحجارين . . . أله . . . دينار على أن تردوا حجراً واحداً الى مكانه وهندامه

هل كان يمكنكم ذلك فاقسم بالله تعالى أنهم ليعجزون عن ذلك ولو بذل لهم اضعافه

وبازاء الاهرام من الضفة الشرقية مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الاغوار متداخلة وفيها ماهو ذو طبقات ثلاث وتسمى المدينة حتى لعل الفارس يدخلها برمحه ويتخللها يوما أجمع ولا ينهيها لكثرتها وسعتها وبعدها ، ويظهر من حالها أنها مقاطع حجارة الاهرام . وأما مقاطع حجارة الصوان الاحمر فيقال أنها بالقلزم وبأسوان . وعند هذه الاهرام آثار أبنية جبارة ومغاير كثيرة متقنة وقلما ترى من ذلك شيئاً ألا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول

وعند هذه الأهرام بأكثر من غلوة صورة رأس وعنق بارزة من الارض فى غاية العظم يسميه الناس أبا الهول

ويزعمون ان جثته مدفونة تحت الارض ويقتضى المقياس ان تكون جثته بالنسبة الى رأسه سبعين ذراعا ، وفى وجهه حمرة ودهان أحمر يلمع عليه رونق الطراءة وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما ، وسألنى بعض الفضلاء ما أعجب مارأيت ، فقلت تناسب وجه أبى الهول فان أعضاء وجهه كالأنف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة ، فان أنف الطفل مثلا مناسب له وهو حسن به حتى لو كان ذلك الانف لرجل كان مشوها به . كذلك لو كان أنف الرجل للصبى لتشوهت صورته وعلى هذا سائر الاعضاء فكل عضو ينبغى أن يكون على مقدار وهيئة بالقياس الى تلك الصورة وعلى نسبتها فان لم توجد المناسبة تشوهت الصورة . والعجب من مصوره كيف قدر ان يحفظ نظام التناسب فى الاعضاء مع عظمها وانه ليس فى أعمال الطبيعة مايحاكيه وينقله

ومن ذلك الآثار التى بعين شمس وهى مدينة صغيرة يشاهد سورها محدقا بها مهدوما ويظهر من أمرها أنها قد كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة المشكل من نحيت الحجارة يكون طول الصنم زهاء ثلاثين ذراعا وأعضاؤه على تلك النسبة من العظم وقد كان بعض هذه الاصنام قائماً على قواعد وبعضها قاعدا بنصبات عجيبة واتقانات محكمة وباب المدينة موجود الى اليوم وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير الانسان وغيره من الحيوان وكتابات كثيرة بالقلم المجهول وقلما

يرى حجراً غفلا من كتابة أو نقش أو صورة، وفي هذه المدينة المسلتان المشهورتان وتسميان مسلتي فرعون وصفة المسلة ان قاعدة مربعة طولها عشر أذرع في مثلها عرضا في نحوها سمكا قد وضعت على أساس ثابت في الارض ثم أقيم عليها عمود مربع ينيف طوله على مائة ذراع يبتدىء من قاعدة لعل قطرها خمس أذرع وينتهي الى نقطة، وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس الى ثلاث أذرع منها كالقمع وقد تزنجر بالمطر وبطول المدة أخضر وسال من خضرته على بسيط المسلة، والمسلة كلها عليها كتابات بذلك القلم ورأيت احدى المسلتين وقد خرت وانصدعت من نصفها لعظم الثقل وأخذ النحاس من رأسها ثم ان حولها من المسال شيئاً كثيراً لا يحصى عددها مقاديرها على نصف تلك العظمى أو ثلثها وقلما تجد في هذه المسال الصغار ماهو قطعة واحدة بل فصوصا بعضها على بعض وقد تهدم أكثرها وانما بقيت قواعدها

ورأيت بالأسكندرية مسلتين على سيف البحر في وسط العمارة أكبر من هذه الصغار وأصغر من العظيمتين

وأما البرابي بالصعيد فالحكاية من عظمها واتقان صنعتها وأحكام سورها وعجائب مافيها من الاشكال والنقوش والتصاوير والخطوط مع أحكام البناء وجفاء الآلات والاحجار مما يفوت الحصر وهي من الشهرة بحيث تغني عن الاطالة في الصفة

ورأيت بالاسكندرية عمود السواري وهو عمود أحمر منقط من الحجر المانع الصوان عظيم الغلظ جداً شاهق الطول، لا يبعد ان يكون طوله سبعين ذراعا وقطره خمس أذرع وتحته قاعدة عظيمة تناسبه وعلى رأسه قاعدة أخرى عظيمة وارتفاعها عليه بهندام يفتقر الى قوة في العلم برفع الاثقال وتمهر في الهندسة العملية وخبرني بعض الثقاة أنه قاس دوره فكان خمساً وسبعين شبراً بالشبر التام

ثم اني رأيت بشاطىء البحر مما يلي سور المدينة أكثر من أربع مائة عمود مكسرة انصافا واثلاثا حجرها من جنس حجر عمود السواري على الثلث منه أو الربع. وزعم أهل الأسكندرية قاطبة انها كانت منتصبة حول عمود السواري وان بعض ولاة الاسكندرية واسمه قراجا كان واليا عن يوسف بن أيوب فرأى هدم

هذه السوارى وتكسيرها وإلقاها بشاطىء البحر زعم ان ذلك يكسر سورة الموج عن سور المدينة أو ان يمنع مراكب العدوان تستند اليه وهذا من عبث الولدان ومن فعل من لا يفرق بين المصلحة والمفسدة

ورأيت أيضاً حول عمود السوارى من هذه الاعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها انها كانت مسقوفة والاعمدة تحمل السقف وعمود السوارى عليه قبة هو حاملها وأرى أنه الرواق الذى كان يدرس فيه ارسطوطاليس وشيعته من بعده وانه دار العلم التى بناها الاسكندر حين بنى مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التى أحرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضى الله عنه

وأما المنارة فحالها مشهور يغنى عن وصفها وذكر ذو العناية ان طولها مائتا ذراع وخمسون ذراعا

وقرأت بخط بعض المحصلين انه قاس العمود بقاعدتيه فكان اثنتين وستين ذراعا وسدس ذراع وهو على جبل طوله ثلاث وعشرون ذراعا ونصف ذراع فصارت جملة ذلك خمسا وثمانين ذراعا وثلثى ذراع وطول القاعدة السفلى اثنتا عشرة ذراعا وطول القاعدة العليا سبع اذرع ونصف ذراع ، وقاس ايضا المنارة فوجدها مائتى ذراع وثلاثا وثلاثين ذراعا وهى ثلاث طبقات الطبقة الاولى مربعة وهى مائة ذراع واحدى وعشرين ذراعا والطبقة الثانية مثمنة وطولها احدى وثمانون ذراعا ونصف ذراع والطبقة الثالثة مدورة وطولها احدى وثلاثون ذراعا ونصف ذراع وفوق ذلك مسجد ارتفاعه نحو عشر اذرع

ومن ذلك الآثار التى بمصر القديمة وهذه المدينة بالجيزة فويق الفسطاط وهى منف التى كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقر مملكة ملوك مصر . واياها عنى بقوله تعالى عن موسى عليه السلام « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها » وبقوله تعالى « فخرج منها خائفا يترقب » ، لأن مسكنه عليه السلام كان بقرية بالجيزة قريبة من المدينة تسمى دموة وبها اليوم دير لليهود ، ومقدار خرابها اليوم مسيرة نصف يوم فى نحوه وقد كانت عامرة فى زمن ابراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام وقبلهم من الانبياء [illegible] وبعدهم الى زمن بخت نصر فانه أخرب ديار مصر وبقيت [illegible] منه اليهود ، حين التجأوا

الى مصر ولم يمكن منهم بخت نصر فقصده بخت نصر واباد دياره. ثم جاء الاسكندر بعد ذلك واستولى عليهم وعمر بها الاسكندرية وجعلها مقر الملك ولم تزل على ذلك الى أن جاء الاسلام ففتحت على يد عمرو بن العاص وجعل مقر الملك بالفسطاط. ثم جاء المعز من المغرب وبنى القاهرة وجعلها مقر الملك الى اليوم. وقد ذكرنا ذلك مشروحا مفصلا فى الكتاب الكبير. ولنرجع الى وصف منف المسماة مصر القديمة

فهذه المدينة مع سعتها وتقادم عهدها وتداول الملل عليها واستئصال الامم أياها من تعفية آثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها وآلاتها وافساد ابنيتها وتشويه صورها، مضافا الى ما فعلته فيها اربعة الآف سنة فصاعدا تجد فيها من العجائب ما يفوت فهم العطن المتأمل ويحسر دون وصفه البليغ اللسن وكلما زدته تأملا زادك عجبا وكلما زدته نظرا زادك طربا ومهما استنبطت منه معنى أنباك بما هو اغرب ومهما استثرت منه علما دلك على ان وراءه ماهو أعظم

فمن ذلك البيت المسمى بالبيت الاخضر، وهو حجر واحد تسع أذرع ارتفاعا فى ثمان طولا فى سبع عرضاً قد حفر فى وسطه بيت قد جعل سمك حيطانه وسقفه وأرضه ذراعين والباقى فضاء البيت، وجميعه ظاهراً وباطناً منقوش ومصور ومكتوب بالقلم القديم، وعلى ظاهره صورة الشمس مما يلى مطلعها وصور كثير من الكواكب والافلاك وصور الناس والحيوان على اختلاف من النصبات والهيئات فمن بين قائم وماش وماد رجليه وضامهما ومشمر للخدمة وحامل آلات ومشير بها، ينبى ظاهر الأمر أنه قصد بذلك محاكاة أمور جليلة وأعمال شريفة وهيآت فاضلة وأشارات إلى أسرار غامضة وانها لم تتخذ عبثاً ولم يستفرغ فى صنعتها الوسع لمجرد الزينة والحسن، وقد كان هذا البيت ممكنا على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة فحفر تحتها الجهلة والحمقى طمعاً فى المطالب فتغير وضعه وفسد هندامه واختلف مركز ثقله وتقل بعضه على بعض فتصدع صدوعا طفيفة يسيرة. وهذا البيت قد كان فى هيكل عظيم مبنى بحجارة عاتية جافية على أتقن هندام وأحكم صنعة وفيها قواعد على عمد عظيمة. وحجارة الهرم متواصلة فى جميع أقطار هذا الخراب، وقد بقى فى بعضها حيطان ماثلة بتلك الحجارة [illegible] وفى بعضها أساس وفى بعضها أطلال ورأيت عقد باب شاهقاً ركناه [illegible] واحد قد سقط بين يديه وتجد هذه الحجارة مع

الهندام المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر فى ارتفاع أصبعين وفيه صدأ النحاس وزنجرته فعلمت أن ذلك قيود لحجارة البناء وتوثيق لها ورباطات ، بينها بابان يجعل بين الحجرين ثم يصب عليـــه الرصاص وقد تتبعها الانذال المغرورون فقلعوا منها ماشاء الله تعالى وكسروا لأجلها كثيراً من الحجارة حتى يصلوا اليها ولعمر الله قد بذلوا الجهد فى استخلاصها وأبانوا عن تمكن من اللؤم وتوغل فى الخساسة . وأما الأصنام وكثرة عددها وعظم صورها فأمر يفوت الوصف ويتجاوز التقدير وأما اتقان أشكالها وأحكام هيآتها والمحاكاة بها الأمور الطبيعية فوضع التعجب بالحقيقة . فمن ذلك صنم ذرعناه سوى قاعدته فكان نيفا وثلاثين ذراعا وكان مداه من جهة اليمين إلى اليسار نحو عشر أذرع ومن جهة الخلف الى الامام على تلك النسبة وهو حجر واحد من الصوان الأحمر وعليـــه من الدهان الأحمر كأنه لم يزده تقادم الأيام الأجدة

والعجب كل العجب كيف حفظ فيه مع عظم النظام الطبيعى والتناسب الحقيقى . وانت تعلم ان كل واحد من الأعضاء الآلية والمتشابهة له فى نفسه مقدار ما وله إلى سائر الاعضاء نسبة ما بذلك المقدار . وبتلك النسبة تحصل حسن الهيئة وملاحة الصورة فان اختل شيء من ذلك حدث من القبح بمقدار الخلل . وقد احكم فى هذه الاصنام هذا النظام أحكاما أى أحكام فمن ذلك مقادير الاعضاء فى نفسها ثم نسب بعضها الى بعض . فانك ترى الصنم قد يبتدىء بانفصال صدره عن عنقه عند الترقوة بتناسب بليغ ثم يأخذ الصدر فى ارتفاع الترايب إلى الثندوتين فيرتفعان عما دونهما ويبرزان من سائر الصدر بنسبة عجيبة ثم يعلوان الى حد الحلمة ، ثم تصور الحلمة مناسبة لتلك الصورة الهائلة ثم تنحدر إلى الموضع المطمئن عند القص وفرجة الزور وزور القلب وإلى تجعيد الاضلاع والتوائها كما هو موجود فى الحيوان الحقيقى . ثم تنحدر الى مقاط الاضلاع ومراق البطن والتواء العصب وعضل البطن يمنة وتمايلا وتوترها وارتفاعها وانخفاض ما دون السرة مما يلى الاقراب ثم تحقيق السرة وتوتر العضل حولها . ثم الانحدار الى العانة والحالبين وعروق الحقب والخروج منه الى عظمى الوركين وكذلك عند انفصال الكتف واتصاله بالعضد [illegible] بالساعد وانفصاله عن الذراع والكوع والكرسوع وابرة

المرفق وتهرى مفصل الساعد من العضد وعضل الساعد ورطوبة اللحم وتوتر العصب وغير ذلك مما يطول شرحه ، وقد صور كف بعضها قابضاً به على عمود قطره شبر كانه كتاب ، وصورت الغضون والأسارير التى تحدث فى جلدة الكف مما يلى الخنصر عند مايقبض الانسان كفه ، وأما حسن أوجهها وتناسبها فعلى أكمل مافى القوى البشرية أن تفعله وأتم مافى المواد الحجرية أن تقبله ولم يبق إلا صورة اللحم والدم وكذلك صورة الاذن وحتارها وتعاريجها على غاية التمثيل والتخييل

ورأيت أسدين متقابلين بينهما أمد قريب وصورهما هائلة جداً وقد حفظ فيهما النظام الطبيعى والتناسب الحيوانى مع كونهما أعظم جثة من الحيوان الحقيقى جداً جداً وقد تكسرا و ردما بالتراب

ووجدنا من سور المدينة قطعة صالحة مبنية بالحجارة الصغار والطوب وهذا الطوب كبير جاف متطاول الشكل ومقداره نصف الاجر الكسرى بالعراق . في أن طوب مصر اليوم نصف أجر العراق اليوم أيضاً

واذا رأى اللبيب هذه الآثار عذر العوام فى اعتقادهم عن الأوائل بأن أعمارهم كانت طويلة وجثثهم عظيمة أو أنه كان لهم عصا اذا ضربوا بها الحجر سعى بين أيديهم ، وذلك أن الاذهان تقصر عن مقدار ما يحتاج اليه فى ذلك من علم الهندسة واجتماع الهمة وتوفر العزيمة ومصابرة العمل والتمكن من الآلات والتفرغ للاعمال والعلم بمعرفة أعضاء الحيوان وخاصة الانسان ومقاديرها ونسب بعضها من بعض وكيفية تركيبها ونصباتها ومقادير وضع بعضها من بعض ، فان النصف الأسفل من الانسان أعظم من النصف الأعلى منه اعنى التنور بمقدار معلوم ، بخلاف سائر الحيوان . والانسان المعتدل طوله ثمانية أشبار بشبر نفسه وطول يده الى طى مرفقه شبران بشبره وعضده شبر وربع وهكذا جميع عظام الصغار والكبار والقصب والسناش والسلاميات حافظة للنظام فى مقاديرها ونسب بعضها إلى بعض وكذلك سائر الأعضاء الباطنة والظاهرة كانخفاض اليافوخ عن ذروة الراس ونتوءه عما دونه وامتداد الجبهة والجبينين وتطامن الصدغين ونتوء عظمى الوجنتين وسهولة الخدين وانخراط الأنف ولين المارن وانفراج المنخرين

وامتداد الوترة ودقة الشفتين واستدارة الحلك وانخراط الفكين وغير ذلك مما تضيق عنه العبارة ، وانما يدرك بالمشاهدة وبالتشريح والتأمل . وقد ذكر أرسطوطاليس فصلا فى المقالة الحادية عشرة من كتاب الحيوان له يدل على أن القوم كان لهم حذاقة واتقان لمعرفة أعضاء الحيوان وتناسبها ، وان جميع ما أدركوه وان جل فهو حقير تافه بالقياس الى الأمر الحقيقى المطبوع وانما يستعظم ماعرفه الانسان منه بالقياس إلى ضعف قوته وبالقياس إلى باقى نوعه ممن يعجز عما قدر عليه ، كما يتعجب من النملة اذا حملت حبة شعير ولا يتعجب من الفيل إذا حمل قناطير وهذا نص كلامه باصلاحى قال : من العجب أن نستحسب علم أحكام التصاوير وعمل الاصنام وافراغها وتبيين حكمته ولا نستحسب معرفة الأشياء المقومة بالطبيعة ولا سيما إذا قوينا على معرفة عللها ولذلك لاينبغى لنا أن نكره النظر فى طباع الحيوان الحقير الذى ليس بكريم ولا يثقل ذلك علينا كما يثقل على الصبيان . ففى جميع الأشياء الطباعية شيء عجيب ولذلك ينبغى لنا أن نطلب معرفة طباع كل واحد من الحيوان ونعلم أن فى جميعه شيئاً طباعيا كريماً ، لانه لم يطبع شيء منها على وجه الباطل ولا كما جاء واتفق ولا بالبخت بل كل مايكون من قبيل الطباع فانما يكون لشيء أعنى لحال التمام ولذلك صار له مكان ومرتبة وفضيلة صالحة . فتبارك الله أحسن الخالقين

وأما باطن الحيوان وتجويفاته وما فيها من العجائب التى تشتمل على وصفها كتب التشريح لجالينوس وغيره وكتاب منافع الاعضاء له فان أيسر اليسير منه يبهت دونه المصور حسيراً ولا يجد له على ذلك ظهيراً ويعلم مصداق قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا

وأقول أن التعجب من الأمور الصناعية يضاهى التعجب من الأمور الطباعية لأن الأمور الصناعية هى بوجه ما طباعية وذلك أنها حادثة عن قوى طباعية وكما أن المهندس اذا حرك ثقلا عظيما استحق أن يتعجب منه فكذلك اذا صنع صورة من خشب مثلا تحرك تلك الصورة ثقلا ما كان ذلك المهندس أحرى أن يتعجب منه . وانه سبحانه وما تعملون [illegible] من ما تكونه [illegible] عالم الغيب والشهادة [illegible] أنفسكم [illegible] تسرون [illegible] حجاب . يعلم خائنة الاعين

وما تخفي الصدور. ومن أشباح الموجودات بقدرته قائمة وبارادته متحركة وساكنة وبنفاذ أمره فيها فرحة وباقترابها من حضرة قدسه مبتهجة ولتكثرها تشهد بوحدانيته وبتغيرها تقر بقدرته وأن من شيء الا يسبح بحمده

ولنرجع الى حديثنا الاول فنقول هذه الأصنام مع كثرتها قد تركتها الايام الا الاقل منها جذاذا وغادرتها رمادا. ولقد شاهدت كبيراً منها وقد نحت من صلعته رحا قطرها ذراعان ولم يظهر فى صورته كبير تشويه ولا تغير بين، ورأيت صنما وبين رجليه صنم متصل به صغيركأنه مولود بالقياس اليه، وهو مع ذلك كأعظم رجل يكون وعليه من الملاحة والجمال مايشوق الناظر اليه لا يمل من ملاحظته. واتخاذ الاصنام قد كان فى ذلك الزمان شائعاً فى الارض عاما فى الامم ولهذا قال تعالى فى حق ابراهيم عليه السلام: ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين أى كان وحده فى زمنه موحداً فهوأمة بنفسه لاعتزاله اياهم وانفراده برأى يخالف آراءهم، ولما رأى بنو اسرائيل تعظيم القبط هذه الاصنام وتبجيلهم اياها وعكوفهم عليها والفوا ذلك وانسوا به لطول مقامهم بينهم ثم رأوا قوما من أهل الشام عاكفين على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا آلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون. ولما كان النصارى معظمهم وجمهورهم أقباطاً وصابئة نزعوا الى الاصل ومالوا الى سنة آبائهم القديمة فى اتخاذ التصاوير فى بيعهم وهيا كل عبادتهم وبالغوا فى ذلك وتفننوا فيه وربما تراموا فى الجهالة والنوك حتى يصوروا آلههم والملائكة حوله بزعمهم وجميع ذلك لبقايا فيهم من سنين أوائلهم وان كان الاوائل يكبرون الآله أن يدخل تحت ادراك عقلي وحسى فضلا عن تصوير. وانما سهل على النصارى ذلك وأجرأهم عليه اعتقادهم الآلهية للبشر وقد حققنا القول فى ذلك فى مقالاتنا عليهم

وما زالت الملوك تراعى بقاء هذه الآثار وتمنع من العيث فيها والعبث بها وان كانوا أعداء لأربابها. وكانوا يفعلون ذلك لمصالح منها لتبقى تاريخاً يتنبه بها على الاحقاب. ومنها أنها تكون شاهدة للكتب المنزلة فان القرآن العظيم ذكرها وذكر أهلها ففي رؤيتها خبر الخبر وتصديق الأثر. ومنها أنها مذكرة بالمصير ومنبهة على المآل ومنها أنها تدل على شيء من أحوال من سلف وسيرتهم وتوافرعلومهم

وصفاء فكرهم وغير ذلك وهذا كله مما تشتاق النفس الى معرفته وتؤثر الاطلاع عليه وأما فى زمننا هذا فترك الناس سدى وسرحوا هملا وفوضت اليهم شؤونهم فتحركوا بحسب أهوائهم وجروا نحو ظنونهم وأطماعهم وعمل كل أمرء منهم على شاكلته وبموجب سجيته وبحسب ماتسول له نفسه ويدعو اليه هواه . فلما رأوا آثارها هائلة راعهم منظرها وظنوا ظن السوء بمخبرها وكان جل انصراف ظنونهم الى معشوقهم وأجل الاشياء فى قلوبهم وهو الدينار والدرهم كما قيل

وكل شىء رآه ظنه قدحا ٭ ٭ وان رأى ظل شخص ظنه الساقى

فهم يحسبون كل علم يلوح لهم أنه علم على مطلب ، وكل شىء مفطور فى جبل أنه يفضى الى كنز وكل صنم عظيم أنه حاصل لمال تحت قدميه وهو مهلك عليه فصاروا يعملون الحيلة فى تخريبه ويبالغون فى تهديمه ويفسدون صور الاصنام افسادمن يرجو عندها المال ويخاف منها التلف ، وينقبون الاحجار نقب من لايتمارى أنها صناديق مقفلة على ذخائر ويسربون فى فطور الجبال سروب متلصص قدأتى البيوت من غير أبوابها وانتهز فرصة لم يشعر غيره بها .

وهذه الفطور منها مايدخل حبوا ومنها مايدخل زحفا ومنها مايدخل سحباً على الوجوه ومنها مضايق لاينسحب فيها الا الضرب الضئيل وأكثر ذلك انما هو فطور طبيعة الجبال

ومن كان من هؤلاء له مال أضاعه فى ذلك ومن كان فقيرا قصدبعض المياسير وقوى طمعه وقربْ أمله بايمان يحلفها له وعلوم يزعم أنه استأثربهادونه وعلامات يدعى أنه شاهدها حتى يخسر ذلك عقله وماله . وما اقبح بعد ذلك مآله

ومما يقوى أطماعهم ويديم اصرارهم انهم يجدون نواويس تحت الارض وسيحة الارجاء محكمة البناء وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكثير قد لفوا باكفان من ثياب القنب لعله يكون على الميت منها رهاء الف ذراع وقد كفن كل عضو على انفراده كاليد والرجل والاصبع فى قطع دقاق ثم بعد ذلك تلف جثة الميت جملة حتى يرجع كالحمل العظيم ومن كان يتتبع هذه النواويس من الاعراب وأهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الاكفان فما وجد منه متماسكا اتخذه ثيابا أو باعه للوراقين يعملون منه ورق العطارين ووجد بعض موتاهم فى توابيت من خشب

الجير ثخين ويوجد بعضهم فى نواويس من حجارة إما رخام واما صوان وبعضهم فى أزيار مملوءة عسلا ، وخبرنى الثقة أنهم بينما كانوا يتقفون المطالب عند الاهرام صادفوا دنا مختوماً ففضوه فاذا فيه عسل ، فأكلوا منه فعلق فى أصبع أحدهم شعر فجذبه فظهر لهم صبي صغير متماسك الاعضاء رطب البدن عليه شيء من الحلى والجوهر . وهؤلاء الموتى قد يوجد على جباههم وعيونهم وأنوفهم ورق من الذهب كالقشر ، وقد يوجد منه أيضا على فرج المرأة وربما وجد قشر من الذهب على جميع الميت كالغشاء ، ربما وجد عنده شيء من الذهب والحلى والجوهر ، وربما وجد عنده آلته التى كان يزاول بها العمل فى حياته . وخبرنى الثقة أنه وجد عند ميت منهم آلة مزين مسنا وموسى وعند آخر آلة الحجام وعند آخر آلة الحائك ويظهر من حالهم أنه قد كان من سنتهم أن يدفنوا مع الرجل آلته وماله . وسمعت أن طوائف من الحبشة هذه سنتهم ويتطيرون بمتاع الميت أن يمسوه أو يتصرفوا فيه وكان لنا قريب دخل الحبشة واكتسب مالا منه مائتى أوقية من الذهب ، وانه لما مات أكرهوا رجلا مصريا كان معه على أخذ ماله فاخذه ممتنا عليهم

وقد كان من سنتهم والله اعلم ان يجعل مع الميت شيء من الذهب ، فخبرنى بعض قضاة بوصير وهى مجاورة لمدافنهم انهم نبشوا ثلاثة قبور فوجدوا على كل ميت قشرا رفيعا من الذهب لايكاد يجتمع فيه ، وفى كل منها سبيكة من الذهب فجمع السبائك الثلاثة فكان وزنها تسعة مثاقيل . والحكايات فى ذلك اوسع من ان يحصرها هذا الكتاب

واما ما يوجد فى اجوافهم وادمغتهم من الشيء الذى يسمونه موميا فكثير جدا ، يجلبه اهل الريف الى المدينة ويباع بالشيء النزر ولقد اشتريت ثلاثة رؤوس مملؤة منه بنصف درهم مصرى

وارانى بائعه جولقا مملوءا من ذلك فيه الصدر والبطن وحشوه من هذا الموميا ورايته قد داخل العظام وتشربته وسرى فيها حتى صارت كانها جزء منه ، ورايت ايضا على قحف الراس اثر ثوب الكفن واثر النساجة قد انتقش فيه كما يرسم على الشمع اذا ختمت به على ثوب وهذا المومياء هو اسود كالقار ورايته اذا اشتد عليه حر الصيف يجرى ويلصق بما يدنو منه واذا طرح على الجمر غلى ودخن وشممت منه رائحة القار او الزفت والغالب انه زفت ومر

واما الموميا بالحقيق فشيء ينحدر من رءوس الجبال مع المياه ثم يجمد كالقار ويفوح منه رائحة زفت مخلوط بقفر وقال جالينوس الموميا يخرج من العيون كالقار والنفط . وقال غيره هو صنف من القار ويسمى حيض الجبال وهذا الذى يوجد فى تجاويف الموتى بمصر لا يبعد عن طباع الموميا وان يستعمل بدله اذا تعذر

ومن أعجب ما يوجد فى مدافنهم اصناف الحيوان من الطير والوحش والحشرات ، وقد كفن الواحد منها فى كذا و كذا ثوبا وهو محتاط عليه محتفظ به ، وخبرنى الثقة انهم وجدوا بيتا تحت الارض محكما ففتحوه فوجدوا فيه لفائف ثياب القنب وقد تقمطت فازالوها مع كثرتها فوجدوا تحتها عجلا صحيحا قد احكم تقميطه وحدثنى آخر انهم وجدوا صقرا فنشروا عنه من لفائف الثياب حتى عيوا فوجدوا ، لم تسقط منه ريشة وحكى لى مثل ذلك عن هر وعن عصفور وعن خنفساء وغير ذلك مما يطول شرحه ويهجن ذكره

وحكى لى الامير الصادق انه كان بقوص فجاء اليه من يبحث عن المطالب فذكروا له انهم انخسفت بهم هوة موهمة ان فيها ، دفينا فخرج معهم بجماعة متسلحين وحفروا فوجدوا زيرا كبيرا موثق الرأس بالجص . ففتحوه بعد الجهد فوجدوا فيه كالاصابع مكفنا بخرق فحلوه فوجدوا تحتها صيرا وهو سمك صغار وقد صار كالهباء اذا نفخ طار فنقلوا الزير الى مدينة قوص بين يدى الوالى واجتمع عليه نحو مائة رجل فحلوا الجميع حتى اتوا على آخره وهو كله صير مكفن ليس فيه سوى ذلك

ورايت انا بعد ذلك فى مدافنهم ببوصير من العجايب مالا يفى به هذا الكتاب ، فمن ذلك انى وجدت فى هذه المدافن مغائر تحت الارض مبنية باتقان وفيها رمم ملففة ، وفى كل مغارة عدد لايحصى ومن المغائر ما هو مملوء برمم الكلاب ، ومنها ماهو مملوء برمم البقر ، ومنها مافيه رمم السنانير والجميع مكفن بخرق القنب ورايت شيئا من عظام بنى ادم وقد تمشق حتى صار كالليف الابيض لقدمه ، ومع ذلك فاكثر الرمم التى رايتها صلبة متماسكة جدا يظهر عليها من الطراءة اكثر من رمم اهل الذين سنه سبع وتسعين وخمسماية الاتى ذكرها آخر كتابنا هذا . ولا سيما ما كان من الرمم القديمة قد انصبغ بالزفت والقطران فانك تجدها فى لون الحديد وصلابته ورزانته ورايت من جماجم البقر ما شاء الله وكذلك جماجم الغنم وفرقت بين رؤس المعز

والضأن وبين رؤوس البقر والثيران ، ووجدت لحم البقر قد التصق بالأكفان حتى صار قطعة واحدة حمراء تقرب الى السواد ، ويخرج العظم من تحتها ابيض وبعض العظام احمر وبعضها اسود وكذلك فى عظام الادمى ولا شك ان الاكفان كانت تبل بالصبر والقطران وتشرب به ثم يدفن بها فلذلك يصبغ اللحم ويبقيه وما نال منها العظم صبغته فاحمر واسود . ووجدت فى عدة مواضع تلالا من رمم الكلاب لعله يكون فى جملتها مائة الف رأس كلب او يزيد وذلك مما يثير الباحثين عن المطالب فان جماعة يجعلون مكاسبهم من هذه القبور واخذ ما سنح لهم من الخشب والخرق وغيره . واستقريت جميع المواضع المحكمة فلم اجد فيها رأس فرس ولا جمل ولا حمار فبقى ذلك فى نفسى . فسألت مشايخ بوصير فبادروا الى اخبارى بأنهم قد تقدمت فكرتهم فى ذلك واستقراؤهم اياه فلم يجدوه . واكثر توابيتهم من خشب الجميز وفيه القوى الصلب ومنه ماصار فى درجة الرماد وخبرنى قضاة بوصير بعجائب منها انهم وجدوا ناووسا من حجر ففضوه فلقوا فيه ناووسا ففضوه فوجدوا فيه تابوتا ففتحوه فوجدوا فيه سحلية وهى سام ابرص مكفنة محتاطا عليها معنيا بها

ووجدنا عند بوصير اهراما كثيرة منها هرم قد انهدم وبقى قلبه فقسناه من مبدأ أساسه فوجدناه لايتقاصر عن هرمى الجيزة

وجميع ماحكيناه من أحوال مدافنهم ببوصير يوجد نحوه وأمثاله بعين شمس وبالبرابى وبغيرها

وأعلم ان الاهرام لم أجد لها ذكرا فى التوراة ولا فى غيرها ولا رأيت ارسطو ذكرها ، وانما قال فى اثناء قوله فى السياسة كما كان من سنة المصريين البناء ، وللاسكندر الأفروذيسى تاريخ صغير ذكر فيه اليهود والمجوس والصابئة وتعرض بشىء من أخبار القبط . وأما جالينوس فرأيته ذكر الاهرام فى موضع واحد وجعله من هرم الشيخوخة ، وقال فى كتاب شرح الأهوية والبلدان لبقراط فمن أراد أن يتعلم صناعة النجوم فعليه بمصر فان أهلها قد عنوا بذلك عناية تامة . هذا معنى قوله ، وقال فى كتاب عمل التشريح فمن أراد أن يشاهد كيفية تركيب العظام وهيأتها فينبغى له أن يقصد الاسكندرية ويشاهد موتى القدماء

وأعلم أن القبط بمصر نظير النبط بالعراق . ومنف نظيرة بابل والروم والاقاصر بمصر نظير الفرس والاكاسرة بالعراق والاسكندرية نظير المدائن ، والفسطاط نظير بغداد . والجميع اليوم بعد الاسلام وتشمله دعوة بنى العباس

الفصل الخامس

فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن

وأما أبنيهم ففيها هندسة بارعة وترتيب فى الغاية ، حتى أنهم قلما يتركون مكانا غفلا خاليا عن مصلحة ودورهم أفيح وغالب سكناهم فى الاعالى ويجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة ، وقلما تجد منزلا إلا وتجد فيه باذاهيج وباذاهيجاتهم كبار واسطة للريح عليها تسلط ويحكمونها غاية الاحكام حتى أنه يقوم على عمارة الواحد منها ماية دينار الى خمس مائة وان كانت باذاهيجات المنازل الصغار يغرم على الواحد منها دينار وأسواقهم وشوارعهم واسعة وابنيتهم شاهقة ويبنون بالحجر النحيت والطوب الأحمر وهو الآجر وشكل طوبهم على نصف طوب العراق

ويحكمون قنوات المراحيض حتى أنه تخرب الدار والقناة قائمة ، ويحفرون الكنف الى المعين فتغبر عليها برهة من الدهر طويلة ولا يفتقر الى كسح وإذا أرادوا بناء ربع أو دار ملكية أو قيسارية استحضر المهندس وفوض اليه العمل فيعمد الى العرصة وهى تل تراب أو نحوه فيقسمها فى ذهنه ويرتبها بحسب مايقترح عليه ثم يعمد الى جزء جزء من تلك العرصة فيعمره ويكمله بحيث ينتفع به على انفراده ويسكن ثم يعمد الى جزء آخر ولا يزال كذلك حتى تكمل الجملة بكمال الاجزاء من غير خلل ولا استدراك

وأما المسناة فيسمونها الرزينة ولهم فى بنائها اتقان حسن ، وصفته أن يحفر الاساس حتى تظهر النداوة وترير الماء فحينئذ يوضع ملبن من خشب الجميز أو نحوه على تلك الارض الندية بعد ماتمهد ، ويكون عرضه نحو ثلثى ذراع وقطر حلقته نحو ذراعين مثل الذى يجعل فى قعر الآبار ثم يبنى عليه بالطوب والجير نحو قامتين فيصير بمنزلة التنور . فيأتى الغواصون وينزلون هذه البير ويحفرونها وكلما نبع الماء

نزحوه من الطين والرمل ، ويحفرون أيضا تحت ذلك الملبن فكلما تخلخل ما تحته وثقل بما عليه من البنا، نزل وكلما نزل غاصوا عليه وحفروا تحته والبناء فى اثناء ذلك يبنى عليه ويرفعه ، ولا يزال البناء يرفع الفاعل تحته يحفر وهو بثقله يغوص حتى يستقر على أرض جلدة ويصل الى الحد الذى يعرفونه،فحينئذ ينتقلون الى عمل آخر مثله على سمته وعلى بعد أربع أذرع منه أو نحوها ولا يزالون يفعلون ذلك فى جميع طول الاساس المفروض ثم يبنون الاساس كالعادة بعد ردم هذه الآبار فترجع أوتاداً راسية للبناء وعمد تدعمه وتوثقه

وأما حماماتهم فلم أشاهد فى البلاد أتقن منها وصفاً ولا أتم حكمة ولا أحسن منظراً ومخبراً . أما أولا فان أحواضها يسع الواحد منها مابين راويتين الى أربع روايا وأكثر من ذلك يصب فيه ميزابان ثجاجان حار وبارد وقبل ذلك يصبان فى حوض صغير جداً مرتفع،فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير وهذا الحوض نحو ربعه فوق الارض وسائرة فى عمقها ينزل اليه المستحم فيستنقع فيه . وداخل الحمام مقاصير بابواب،وفى المسلح ايضاً مقاصير لأرباب التخصص حتى لايختلطوا بالعوام ولايظهروا على عوراتهم وهذا المسلح بمقاصيره حسن القسمة مليح البنية وفى وسطه بركة مرخمة وعليها أعمدة وقبة،وجميع ذلك مزوق السقوف مفوف الجدران مبيضها مرخم الأرض بأصناف الرخام مجزع باختلاف ألوانه، وترخيم الداخل يكون أبداً أحسن من ترخيم الخارج وهو مع ذلك كثير الضياء مرتفع الازاج، جاماته مختلفة الألوان ضافية الاصباغ بحيث اذا دخله الانسان لم يؤثر الخروج منه لأنه إذا بالغ بعض الرؤساء أن يتخذ دارا لجلوسه وتناهى فى ذلك لم تكن أحسن منه

وفى موقده حكمة عجيبة. وذلك أن يتخذ بيت النار وعليه قبة مفتوحة بحيث يصل اليها لسان النار ويصف على افاريزها أربع قدور رصاص كقدور الهراس لكنها اكبر منها. وتتصل هذه القدور قرب اعاليها بمجار من أنابيب فيدخل الماء من مجرى البير الى فسقية عظيمة، ثم منها الى القدر الاولى فيكون فيها بارداً على حاله ثم يجرى منها الى الثانية فيسخن قليلا، ثم الى الثالثة فيسخن اكثر من ذلك ثم الى الرابعة فيتناهى حره . ثم يخرج من الرابعة الى مجارى الحمام فلا يزال الماء

جاريا وحارا بايسر كلفة واهون سعى واقصر زمان وهذا العمل حاكوا به فعل الطبيعة فى بطون الحيوان وطبخها الغذاء، فان الغذاء يتنقل فى الامعاء وآلات الغذاء التى هى لـــكل حيوان وكلما صار الغذاء الى مصير حصل على صنف من الهضم ومقدار من النضج حتى يصل الى المعاء الاخير وقد تناهى

واعلم ان هذه القدور كل حين تحتاج الى تجـــديد ماينقصها فتوجد القدر الاولى التى هى وعاء البارد قد نقصت اكثر من نقصان القدر التى هى وعاء الحار بمقدارين ولذلك علة طبيعية ليس هذا موضعها

ويفرشون أرض الاتون التى هى مقر النار بنحو خمسين اردبا ملحا وهكذا يفعلون بأرض الافران لأن الملح من طبعة حفظ الحرارة . واما سفنهم فكثيرة الاصناف والاشكال واغرب مارايت فيها مركب يسمونه العشرى شكله شكل شبارة داخلة . الا انه أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هنداما وشكلا، قد سطح بالواح من خشب ثخينة محكمة وأخرج منها افاريز كالرواشن نحو ذراعين . وبنى فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروازن بابواب الى البحر من سائر جهاته ثم تعمل فى هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ثم يزوق باصناف الاصباغ ويدهن باحسن دهان

وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالسا فى وسادته وخواصه حوله والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن واطعمتهم وحوائجهم فى قعر المركب والملاحون تحت السطح ايضاً وفى باقى المركب يقذفون به لايعلمون شيئاً من أحوال الركاب ولاالركاب تشتغل خواطرهم بهم بل كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده وإذا أراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن اصحابه دخل المخدع، واذا اراد قضاء حاجته دخل المرحاض، والملاحون بمصر يقذفون الى ورائهم فهم فى قذفهم يشبهون الحبالين فى مشيهم القهقرى ويشبهون فى تحريكهم السفن من يجذب ثقلا بين يديه ويمشى به الى خلفه . واما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقـــل أمامه ويدسر به فسفنهم تتوجه حيث الملاح متجه وأما سفن مصر فهى تتحرك الى ضد الجهة التى اليها الملاح متوجه . واما أى الحالتين اسهل والبرهان عليها فموضعه العلم الطبيعى وعلم تحريك الاثقال

الفصل السادس

فى غرائب اطعمتها

فمن ذلك النيدة وهى بمنزلة الخبيص حمراء الى السواد وهى حلوة لافى الغاية وتتخذ من القمح بأن ينبت ثم يطبخ حتى يخرج نشاه وقوته فى الماء ، ثم يصفى ويطبخ ذلك الماء حتى يغلظ،ثم يذر عليه الدقيق ويعقد ويرفع فيباع بسعر الخبز وهذه تسمى نيدة البوش، وقد يطبخ ذلك الماء وحده حتى ينعقد من غير دقيق وتسمى النيدة المعقودة وهى اغلى من الاولى واعلى

ويختصون ايضا باستخراج دهن بزر الفجل والسلجم والخس، ويستصبحون به ويعملون منه الصابون، وصابونهم رطب أحمر وأصفر وأخضر وبه شبهت الصابونية واليه نسبت

وأما أطبختهم فالحوامض منها والسواذج هى المعهودة أو قريبة من المعهودة، وأما المحليات فغريبة وذلك أنهم يتخذون الدجاج بأصناف من الحلويات وسبيل ذلك أن تسلق الدجاج ثم ترمى فى الجلاب ويلقى عليه بندق مدقوق أو فستق أو خشخاش أو بزر رجلة أو ورد ويطبخ حتى ينعقد ثم يتبل ويرفع وتسمى هذه الاطبخة بالفستقية والبندقية والخشخاشية والوردية وست المنوية للتى تعقد ببزر الرجلة لسوادها ويتفننون فى ذلك تفننا يحتاج الى شرح أكثر من هذا

وأما الحلويات المتخذة من السكر فاصناف كثيرة يؤدى استقصاؤها الى الخروج عن الغرض ويحوج الى وضع كتاب مفرد ، وقد يتخذ منها مايصلح لمداواة الامراض ولارباب الحمية من المرضى والناقهين اذا تاقت أنفسهم الى الحلوى.فمن ذلك خبيص اليقطين وخبيص الجزر والوردية المتخذة بالورد والزنجبيلية المتخذة بالزنجبيل والأقراص العود وأقراص الليمون والاقراص الممسكة وغير ذلك . وكثيراً مايستعملون الفستق فى أطبختهم وحلوائهم عوض اللوز وهو مما يفتح سدد الكبد،ويتخذون منه هريسة تسمى هريسة الفستق وهى لذيذة جداً مسمنة ومودادها لحم دجاج مسلوق منسر جزء وجلاب جزءان ومثل ثمن الجميع أو تسعة فستق مقشور مهروس وكيفية عمله أن يمسح اللحم المنسر بالسيرج ويجعل بالدست بحيث يشم النار ويسكب عليه الجلاب ويضرب حتى ينعقد ثم يلقى على الفستق ويضرب حتى يختلط ثم يرفع

ومن غريب مايتخذونه رغيف الصينية وصفته ان يؤخذ من الدقيق الحوارى ثلاثون رطلا بالبغدادى ويعجن مع خمسة أرطال ونصف سيرجا كعجن خبز الخشكنان ثم يقسم بقسمين ويبسط أحدهما رغيفاً فى صينية نحاس قد اتخذت لذلك سعة قطرها نحو أربعة أشبار ولها عرى وثيقة ثم يعبى على الرغيف ثلاثة أخرفة مشوية محشوة الاجواف بلحم مدقوق ومقلو بالسيرج والفستق المهروس والافاوية العطرة الحارة كالفلفل والزنجبيل والقرفة والمصطكى والكزبرة والكمون والهال والجوزة ونحو ذلك ويرش عليه ماء ورد قد ديف فيه مسك ثم يجعل على الخرفان وبين خلالها عشرون دجاجة وعشرون فروجا وعشرون فرخا بعضه مشوى محشو بالبيض وبعضه محشو باللحم وبعضه مطجن بماء الحصرم أو بماء الليمون أو بنحو ذلك، ثم يشور بالسنبوسك والقماقم المحشوة باللحم بعضها وبالسكر والحلوى بعضها وإن شئت ان تزيده خروفا آخر تتخذه شرائح فلا بأس وكذا جنباً مقلوا ، فاذا نضد ذلك وصار كالقبة نضح عليه ماء ورد قد ديف فيه مسك وعود ، ثم غطى بالقسم الثانى من العجين بعد أن يمد رغيفاً ويلحم بين الرغيفين كما يلحم الخشكنان بحيث لايخرج منه نفس أصلا، ثم يقرب الى رأس التنور حتى يتماسك عجينه ويبتدىء فى النضج فحينئذ ترسل الصينية فى التنور بعراها رويداً رويدا ويصبر عليه ريثما ينضج الخبز ويتورد ويحمر ثم يخرج ويمسح باسفنجه فيرش عليه ماء ورد ومسك ويرفع للأكل . وهذا الصنيع يصلح ان يحمل مع الملوك وأرباب الترف الى متصيداتهم النائية ومنتزهاتهم النازحة فانه وحده جمله فيها تفضيل سهل المحمل عسر التشعث جميل المنظر مشكور المخبر يحفظ الحرارة مدة طويلة

وأما عوامهم فقلما يعرفون شيئاً من ذلك، وأكثر أغذيتهم الصير والصحناة والدلينس والخبز والنيدة ونحو ذلك وشرابهم المزر وهو نبيذ يتخذ من القمح . ومنهم أصناف يأكلون الفأر المتولد فى الصحارى والغيطان عند انحطاط النيل ويسمونه سمانى الغيط. وبالصعيد قوم يأكلون الثعابين والميتات من الحمير والدواب. وبأسافل الارض قد يتخذ نبيذ من البطيخ الاخضر، وبدمياط يكثر أكل السمك ويطبخ بكل مايطبخ به اللحم من الرز والسماق والمدققات وغير ذلك

آخر المقالة الأولى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين

المقالة الثانية وهى ثلاثة فصول

الفصل الاول

فى النيل وكيفية زيادة واعطاء عطل ذلك وقوانينه

أعلم ان نيل مصر يمد وقت نضوب مياه الارض وذلك فى شمس السرطان والاسد والسنبلة،فيعلو على الأرض ويقيم أياما فاذانزل عنها حرثت وزرعت،ثم يكثر الندى فى الليل جداً وبه يتغذى الزرع الى ان يحصد ، ونهاية ماتدعواليه الحاجة من الزيادة ثمانى عشرة ذراعا فان زاد على ذلك فانه يروى أمكنة مستعلية وكانه نافلة وعلى جهة التبرع ونهاية مايزيد على جهة الندرة أصابع من عشرين ذراعا وعند ذلك تستبحر أمكنة يدوم مكث الماء عليها فتفوت زراعتها ويبور من البلاد مما عادته أن يزرع نحو مما روى مما عاداته أن يشرق ولنسم الثمانية عشرة نهاية الضرورى ولنسم العشرين نهاية الافراط ولكل نهاية بين هاتين فلها ابتداء يقابلها . فابتداء الضرورى ستة عشر ذراعا ويسمى ماء السرطان إذ عنده يستحق الخراج ويدوى به نحو نصف البلاد ويغل من القوت بمقدار مايمان أهل البلاد سنتهم جمعاً مع توسع ويروى سائر البلاد المعتادة بالرى بما زاد على ست عشرة ذراعا الى ثمانى عشرة ، وهذا يقل بمقدار مايمير أهل البلاد سنتين فصاعدا ، وأما مانقص عن ست عشرة ذراعا فيروى به ماهو دون الكفاية ولاتحصل منه ميرة سنتهم ويكون تعذر القوت بمقدار نقصانه عن ست عشرة ذراعا

وحينئذ يقال أن البلاد قد شرقت ، واشتقاقها من قولهم شرقت الشمس إذا لمعت وظهرت ، وشرقت اللحم إذا نشرته ليجف . ومنه قيل أيام التشريق لأن لحوم الأضاحى تشرق فيها أى تبسط،ومنه أيضاً قولهم شرق بالماء وبالشراب لأن الماء عند الاغتصاص وانسداد الحلق يظهر ويبرز ولا يلج . ولما كانت الارض فى السنة التى يوفى نيلها بارزة لايسترها الماء ولا يخفيها الغمر قيل شرقت ولم تتغط ولم ينلها النيل ويجوز ان يكون التشريق ريح شرقية لأن الريح الشرقية والقبلية وهى الجنوب هما عندهم دليل نقص الماء وسببه والغربية البحرية وهى الشمال هما عندهم دليل الزيادة وسببها،فيكون معنى قولهم شرقت البلاد أى كثر هبوب الرياح الشرقية حتى نسفت الماء وأظهرت الأرض ثم سميت الارض شرقية باسم الريح

وجمعت على شراقى مثل كرسى وكراسى وبختى وبخاتى . وأما النيل فهو فعل من نال ينال نيلا ومن نال ينول نولا ، يقال نولته تنويلا ونلته نولا اذا أعطيتـــه ، والنيل اسم ماينال مثل الرعى للصدر والرعى لما يرعى وليس هذا من غرضنا ولـكنه أمر عن فقلنا فيه

فتى نقص عن الست عشر ذراعا فهو ابتداء التفريط المقابل للافراط ، وكنا قد سقنا فى الـكتاب الـكبير سنى الأفراط والتفريط منذ الهجرة الى سنتنا هذه ، وأما هنا فانما نقتص ماشاهدنا على ماشرطنا

واتفق أن زيادة النيل بلغت ست وتسعين وخمس مائة اثنتى عشرة ذراعا واحدى وعشرين أصبعاً، وهذا المقدار نادر جدا فانه لم يبلغنا منذ الهجرة الى الآن أن النيل وقف على هذا الحد قط إلا فى سنة ستا وخمسين وثلثمائة فانه وقف على دون هذا المقدار بأربع أصابع. وأما وقوفه على ثلاث عشرة ذراعا وأصابع فانه وقع نحو ست مرات فى هذه المدة الطويلة وأما أربع عشرة ذراعا وأصابع فانه وقع نحو عشرين مرة، وأما خمس عشرة ذراعا فاكثر من ذلك كثيراً ونحن نسوق أحوال زيادته فى هذه السنة أعنى سنة ست وتسعين وخمس مائة ثم نتبع ذلك بما حصل عندنا من علل ذلك وقوانينه فنقول أن العادة جرية أن تبتدىء الزيادة من أبيب وتعظم فى مسرى وتتناهى فى توت أو بابه ثم تنحط. فدخل أبيب فى هذه السنة وابتدأ النيل يتحرك بالزيادة وكان قبل ذلك بنحو شهرين قد بدت فى مائه خضرة سلقية ثم كثرت وظهرت فى رائحته ذهوكة كريهة وعفونة طحلبية كأنه عصارة السلق اذا بقى أياماً حتى يعفن وجعلت منه وعاء ضيق الرأس فعلاه سحابة خضراء فرفعتها برفق وتركتها تجف اذا بها طحاب لاشك فيه وبقى الماء بعد رفع هذه السحابة غير صافياً لا خضرة فيه إلا أن طعمه وريحه باقيان وتجد فيه أيضاً أجساماً صغاراً نباتية مبثوثة كالهباء ولا ترسب وصار أرباب الحمية يتجنبون شربه وربما يشربون ماء الآبار وأغليته بالنار ظناً منى أنه يصلح بذلك كما وصى الاطباء أن يفعل بالمياه المتغيرة فزاد طعمه وريحه كراهة وسهكا فوجدت علة ذلك ان الاجزاء النباتية التى هى مبثوثة فيه ياطف الطبخ جوهرها ويختلط بالماء اختلاطاً أشد عن الأول فيظهر التغير فى ريحه وطعمه أكثر ويصير ذلك بمنزلة الماء اذا

طبخ فيه سلق أو فجل أو نحوه فان النار تمزج بين الماء ولطيف النبات، وأما الماء الذى يصلح بالطبخ واياه قصد الاطباء فهو الذى تغيره بمخالطته أجزاً أرضية فانها تنفصل عنه بالطبخ لأن الماء حينئذ يلطف فترسب فيه

ثم أنه دامت خضرته أيامامن رجب وشعبان ورمضان،واضمحلت فى شوال، وكان يصحب الخضرة دود وحيوانات وهـــذا التغير فى الماء يكون بالصعيد أكثر لأنه أقرب الى المبدأ والمعدن، وانتهت زيادته فى الحادى عشر من توت الى اثنتى عشرة ذراعا واحدى وعشرين اصبعا ثم انحط.وورد فى شوال رسول ملك الحبشة ومعه كتاب يتضمن موت مطرانهم ويلتمس عوضه وذكر فيه أن مطرهم فى هذه السنة ضعيف وأن النيل قليل المد لذلك

وكنا اقتصصنا فى ذلك الكتاب حال النيل فى هذه السنة وفى السنين الخوالى رجاء أن نعتر على نسب بينها واعراض لها نقف منها على المتجددات من أحوال النيل فى سنى الزيادة وسنى النقصان،فيمكننا تقدمة المعرفة وأخذ الاهبة والانذار بالحوادث المتوقعة. فان أقباط الصعيد يزعمون أنهم يتكهنون على مقدار الزيادة فى السنة من طين معلوم الوزن ينجمونه فى ليلة معروفة ويزنونه غدوة فيجدونه قد زاد فيحكمون من مقدار زيادته على مقدار زيادة النيل،وقوم يتكهنون من حمل النحل.وقوم من تعسيل النحل

فرأيت فى الغالب من حال القاع اذا كان أقل من المعتاد كانت الزيادة فى تلك السنة أقل من المعتاد هذا حكمه الا كثرى فان أتت الخضرة فى أول زيادته وقبيلها قوى الظن بضعف جريته فان طالت أيام الخضرة وضعف مقدار الزيادة قوى الظن جداً بقلته فان دامت الخضرة فى أبيب أذن بقلة المدوعال هذا ظاهر. أما كون قلة القاع دليلاً على قلة الزيادة فلأن المطر الذى هو علة الزيادة ينبغى أن يكون فيه من الكثرة مايرد القاع الى الحالة المعتادة يزيد عليها الزيادة المعتادة وهذه كثرة لاتفى بها أمطار كل سنة ولا توجد كل وقت، مثاله ان القاع اذا كان ذراعا مثلا فيبغى ان تكون الزيادة خمس عشرة ذراعا حتى يبلغ ماء السرطان فان كان القاع ست أذرع احتاج من الزيادة الى عشر أذرع وكون هـــذا أيسر من الاول وأيضاً فان جرية النيل الاصلية مادتها عيون وأما زيادته فمادتها أمطار

ونقصان العيون دليل على احتراف السنة ويبس الهواء وقلة البخار فيقل المطر لذلك، وأيضاً فان المدا الزائد على القاع أكثره فى الغالب ثلاث عشرة ذراعا فاذا كان القاع ذراعا أو ذراعين ثم زاد عليه أكثر المد وهو ثلاث عشرة ذراعا لم يلحق ماء السرطان

وأما كون الخضرة دليلا على قلة الزيادة، فلأن النيل الماضى يغادر نقائع وغدرانا بعضها ينضب وبعضها يطحلب ويعطن ويأسن ،فاذا مرت بها أمطار ضعيفة اختلطت بها وصبتها الى النيل ولم يكن فيها من الكثرة مايغلب على النقائع فيصلحها بل النقائع تغلب على الامطار المتصلة بها فتحيلها الى الفساد وينحط منها مقدار بعد مقدار ويتواصل الينا،وكلما كانت الامطار أضعف وأقل كانت أيام جرى الخضرة أطول فاذا كانت أمطار قوية غسلت تلك المستنقعات وغلبت عليها وحورتها بسرعة مغمورة بطين تجرفه بقوتها فيخفى منظرها، ويتعفى أثرها . وأيضاً فان الانهار الخارجة من جبل القمر تجتمع بأخرى الى بركة عظيمة ذات مساحة فسيحة ومن هذه البركة يخرج هذا النيل، ولا شك ان هذه البركة ملؤها دائم فيطحلب ولا سيما شطوطها وضحاضحها فاذا وقع الوسمى وجرى اليها سيوله أثارت مافى قعرها وحركت ما كان سا كناً فيها وانكسح أيضا مافى الشطوط الى الاوساط وأنسحبت الى حمل الجرية فاستصحبته،وأما كون الخضرة فى أبيب دليل النقصان فلأن أبيب مظنة الزيادة وغلبة الماء على هذه الاوشاب فاذا بقى على خضرته أبان زيادته آذن بقلته ، وهذه الاجزاء النباتية التى تصحب الماء انما هى حطام النبات المتكون فى الماء وحوله كالبردى والديس والسمار المطحلب وغير ذلك فتعفن فيه وتصفر أجزاؤه وتنبعث معه ، ومما يوجب انبعاثها أيضا نقصان الماء من تلك البركة فان ماءها اذا قل اتصلت الجرية بقعرها فانسحب كدرها وراسبها واذا كانت غمراً كانت الجرية من أعلاها وصفوها فاعرف ذلك. ولهذا لاتأتى هذه الخضرة الا فى السنة التى يحترق فيها النيل وكلما كان احتراقه أشد كان ظهور الخضرة أكثر وفى السنة التى يكون نيلها غمراً لا يحترق لاترى الخضرة لأن كثرته لكثرة مديه وارتفاع جريه عن مقر كدورته

فاذا اجتمعت هذه الدلائل كلها أوجلها فى سنة فظن ظنا قويا بأن الزيادة

قليلة فيها فهذه فائدة هذا الاقتصاص، وفيه فوائد أخر منها ان من يأتى بعد إذا اضافه الى مايشاهده يوشك أن يعثر منه على مناسبة أو دلالة أخرى على مقدار الزيادة والنقصان فى كل سنة، ومنها انأصحاب الاحكام النجومية اذا تأملوا المدد التى بين النقصانات والزيادات واعتبروا أحوال الكواكب والاقترانات فيها وطوالع مصر وبلاد السودان وأرباب الولايات فيها من الكواكب ومزجوا ذلك أمكن ان تقوم لهم مما يتحرر صورة تجريبية فى مقدار الزيادة والنقصان فانى الى الآن لم أر لمنجمى مصر بذلك عناية، ولم أجد عندهم ماتسكن اليه النفس سوى كسر ولا ينبنى على أصل

فانه بهذا الطريق استخرج معظم أحكام النجوم وذلك أنهم شاهدوا حوادث أرضية تقترن بنصبات فلكية وحركات علوية ورصدوا ذلك فالفوه يتكرر فنسبوا تلك الحوادث الى تلك الهيئات والنصبات فصاروا متى عثروا فى تسييرهم لحركات الاشخاص العلوية على مثل تلك النصبة والهيئة حكموا بوقوع مثل تلك الحادثة

ويروى عن أهل التجربة من قدماء الاقباط أنه اذا كان الماء فى اثنى عشر يوما من مسرى اثنتى عشرة أصبعاً من اثنتى عشرة ذراعا فهى سنة ماء والا فالماء ناقص، ورأيت بعض من شرح الثمرة لبطليموس ذكر فى تفسير الكلمة الاخيرة التى يقول فى أولها النيازك تدل على جفاف الابخرة فاذا كان فى جهة واحدة دلت على رياح تعرض فى تلك الجهة واذا كانت شائعة فى الجهات كلها دلت على نقصان المياه واضطراب الهواء وعلى جيوش تختلف فقال هذا المفسر أنى لاذكر فى سنة تسعين ومائتين ان الشهب بمصر انتثرت وعمت الجو بأسره فارتاع الناس ولم تزل تكثر فلم يمض لذلك جزء من السنة يسير حتى ظمأ الناس وبلغ نيل مصر ثلاث عشرة ذراعا واضطرب الناس اضطرابا زالت به دولة الطولونى من مصر وانتثرت فى سنة ثلثماية من سائر جهات الجو فنقص النيل أيضاً ووقعت هرجات واضطراب فى المملكة، وهذه لعمرى دلائل قوية ولكنها عامة لجميع الاقاليم وليست خاصة بمصر فقط. على أنه أيضاً قد وقع هذا الحادث بعينه فى سنتنا هذه من تناثر الكواكب فى أولها ونشيش الماء فى آخرها وتغير ملك لمصر فيها بعمه الملك العادل بعد حرب كانت بينهما

الفصل الثانى

فى حوادث سنة خمس وتسعين وخمس مائة

ودخلت سنة سبع مفترسة أسباب الحياة ، وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الاسعار وأقحطت البلاد وأشعر أهلها البلاء وهرجوا من خوف الجوع وانضوى أهل السواد والريف الى أمهات البلاد وانجلى كثير منهم إلى الشام والمغرب والحجاز واليمن وتفرقوا فى البلاد أيدى سبا ومزقوا كل ممزق ، ودخل الى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم . واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت ، وعند نزول الشمس الحمل وبىء الهواء ووقع المرض والموتان واشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والارواث ثم تعدوا ذلك الى أن أكلوا صغار بنى آدم فكثيراً مايعثر عليهم ومعهم صغار مشويون أو مطبوخون فيأمر صاحب الشرطة بأحراق الفاعل لذلك والآكل

ورأيت صغيراً مشوياً فى قفة ، وقد أحضر الى دار الوالى ومعه رجل وأمرأة زعم الناس أنهما أبواه فأمر باحراقهما

ووجد فى رمضان وبمصر رجل وقد جردت عظامه عن اللحم ، فأكل وبقى قفصاً كما يفعل الطباخون بالغنم . ومثل هذا أعوز جالينوس مشاهدته ولذلك تطلبه بكل حيلة . وكذلك كل من أثر الاطلاع على علم التشريح ، وحين مانشم الفقراء فى أكل بنى آدم كان الناس يتناقلون أخبارهم ويفيضون فى ذلك استفظاعا لامره وتعجباً من ندوره . ثم اشتد قربهم اليه وضرواتهم عليــــه بحيث اتخذوه معيشة ومطية ومدخرا وتفننوا فيه . وفشا عنهم ووجد بكل مكان من ديار مصر فسقط حينئذ التعجب والاستبشاع واستهجن الكلام فيه والسماع له

ولقد رأيت أمرأة يسحبها الرعاع فى السوق وقد ظفر معها بصغير مشوى تأكل منه . وأهل السوق ذاهلون عنها ومقبلون على شؤونهم وليس فيهم من يعجب لذلك أو ينكره فعاد تعجبى منهم أشد وما ذلك الا لكثرة تكرره على احساسهم حتى صار فى حكم المألوف الذى لايستحق ان يتعجب منه

ورأيت قبل ذلك بيومين صبيا نحو الرهاق مشويا وقد أخذ به شابان أقرا بقتله وشيه واكل بعضه

وفى بعض الليالى بعد صلاة المغرب كان مع جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير فبينما هو الى جانبها اهتبلت غفلتها عنه صعلوكة فبقرت بطنه وجعلت تأكل منه نيا

وحكى لى عدة نساء انه يتوثب عليهن لاقتناص اولادهن ويحامين عنهم بجهدهن

ورأيت مع امرأة فطيما لحيما فاستحسنته واوصيتها بحفظه ، فحكت لى انها بينا تمشى على الخليج انقض عليها رجل جاف ينازعها ولدها فترامت على الولد نحو الارض حتى ادركها فارس وطرده عنها ، وزعمت أنه كان يهم بكل عضو يظهر منه أن يأكله وان الولد بقى مدة مريضاً لشدة تجاذبه المرأة والمفترس ، وتجد أطفال الفقراء وصبيانهم ممن لم يبق له كفيل ولاحارس منبثين فى جميع اقطار البلاد وازقة الدروب كالجراد المنتشر ، ورجال الفقراء ونساؤهم يتصيدون هؤلاء الصغار ويتغذون بهم وانما يعثر عليهم فى الندرة واذا لم يحسنوا التحفظ

واكثر ماكان يطلع من ذلك مع النساء وما أظن العلة فيه الا النساء أقل حيلة من الرجال واضعف عن التباعد والاستتار . ولقد احرق بمصر خاصة فى ايام يسيرة ثلاثون امرأة كل منهن تقر أنها اكلت جماعة ، فرايت امرأة قد احضرت الى الوالى وفى عنقها طفل شوى فضربت اكثر من مائتى سوط على ان تقر فلا تحير جوابا ، بل تجدها قد انخلعت عن الطباع البشرية ثم سحبت فماتت على مكان

واذا احرق آكل اصبح وقد صار مأكولا لأنه يعود شواء ويستغنى عن طبخه ثم فشا فيهم اكل بعضهم بعضا حتى تفانى اكثرهم ، ودخل فى ذلك جماعة من المياسير والمساتير منهم من يفعله حاجه ومنهم من يفعله استطابة . وحكى لنا رجل أنه كان له صديق ادقع فى هذه النازلة فدعاه صديقه هذا الى منزله ليأكل عنده على ماجرت به عادتهما قبل ، فلما دخل منزله وجد عنده جماعة عليهم رثاثة الفقر وبين أيديهم طبيخ كثير اللحم وليس معه خبز فرابه ذلك وطلب المرحاض فصادف عنده خزانة مشحونة برمم الآدمى وباللحم الطرى فارتاع وخرج فارا

وظهر من هؤلاء الخبثاء من يصيد الناس باصناف الحبائل ويجتلبونهم الى مكانهم بأنواع المخاتل ، وقد جرى ذلك لثلاثة من الاطباء ممن ينتابنى ، اما احدهم فان أباه خرج فلم يرجع ، واما الاخر فان امرأة أعطته درهمين على ان يصحبها الى

مريضها فلما توغلت به مضايق الطرق استراب وامتنع عنها وشنع عليها فتركت دوهميا، واما الثالث فان رجلا استصحبه الى مريضه فى الشارع بزعمه وجعل فى أثناء الطريق يصدق بالكسر ويقول اليوم يغتنم الثواب ويتضاعف الاجر ولمثل هذا فليعمل العاملون، ثم كثر حتى ارتاب منه الطبيب ومع ذلك لحسن الظن بقلبه وقوة الطمع تجذبه،حتى أدخله دارا خربة فزاد استشعاره وتوقف فى الدرج وسبق الرجل فاستفتح فخرج ، اليه رفيقه يقول له هل مع أبطائك حصل صيد ينفع، فخرج الطبيب لما سمع ذلك ، والقى نفسه الى اصطبل من طاقة صادفها السعادة فقام اليه صاحب الاصطبل يسأله عن قضيته فاخفاها عنه خوفا منه ايضاً ، فقال قد علمت حالك فان أهل هذا المنزل يذبحون الناس بالحيل

ووجد باطفيح عند عطار عدة خوابى مملواة بلحم الادمى وعليه الماء والملح فسألوه عن علة اتخاذه والاستكثار منه فقال خفت اذا دام الجدب أن يهزل الناس وكان جماعات من الفقراء قد آووا الى الجيزة وتستروا ببيوت طين ، يتصيدون فيها الناس وفطن لهم وطلب قتلهم فهربوا ، ووجد فى بيوتهم من عظام بنى آدم شيء كثير ، وخبرنى الثقة الذى وجد فى بيوتهم اربع مائة جمجمة

ومماشاع وسمع من لفظ الوالى ان امرأة أتته سافرة مذعورة تذكر انها قابلة وان قوما استدعوها وقدموالها صحنا فيه سكباج محكم الصنعة مكمل التوابل فالفته كثير اللحم، مباينا اللحم المعهود فنقززت منه ثم وجدت خلوة ببنت صغيرة فسألتها عن اللحم .فقالت انها فلانة السمينة دخلت لتزورنا فذبحها أبى وها هى معلقة اربا، فقامت القابلة الى الخزانة فوجدتها أنابير لحم فلما قصت على الوالى القصة أرسل معها من هجم الدار وأخذ من فيها وهرب صاحب المنزل ثم صانع عن نفسه فى خفية بثلثمائة دينار ليحقن بذلك دمه

ومن غريب ماحدث من ذلك ، ان امرأة من نساء الاجلا ذات مال ويسار كانت حاملا وزوجها غائب فى الخدمة وكان يجاورها صعاليك فشمت عندهم رائحة طبخ فطلبت منه كما هى عادة الحبالى فالفته لذيذاً فاستزادتهم فزعموا ... فسألتهم عن كيفية عمله فاسروا اليها أنه لحم بنى آدم فواطأتهم على ان يتصيدوا لها الصغار وتجزل لهم العطا فلما تكرر ذلك منها ضريت وغلبت عليها الطباع

السبعية وشى بها جواريها خوفا منها فهجم عليها فوجد عندها من اللحم والعظام مايشهد بصحة ذلك فحبست مقيدة وأرجىء قتلها احتراما لزوجها وابقاء على الولد فى جوفها

ولو أخذنا نقص كل مانرى ونسمع لوقعنا فى التهمة أو فى الهذر، وجميع ماحكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ولا تتبعنا مظانه وانما هو شىء صادفناه اتفاقا بل كثيراً ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره

وأما من يتحين ذلك بدار الوالى فانه يجد منه أصنافا تحضر مع أثناء الليل والنهار وقد يوجد فى قدر واحد اثنان وثلاثة وأكثر ووجد فى بعض الايام قدر فيها عشر أيد كما تطبخ أكارع الغنم ووجد مرة أخرى قدر كبيرة وفيها رأس كبير وبعض الاطراف مطبوخا بقمح وأصناف من هذا الجنس تفوت الاحصاء

وكان عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع فى حبالتهم شيخ كتبى بدين ممن يتبيعنا الكتب فافلت بجريعة الذقن . وكذلك بعض قوام جامع مصر وقع فى حبالة قوم آخرين بالقرافة فتداركه الناس فخاص من الوهق وله حصاص وأما من خرج من أهله فلم يرجع اليهم فخلق كثير : وحكى لى من أثق به أنه اجتاز على امرأة تجرية وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجر وهى تأكل من أفخاذه فانكر عليها فزعمت أنه زوجها وكثير مايدعى الآكل ان المأكول ولده أو زوجه أو نحو ذلك ورؤى مع عجوز صغير تأكله فاعتذرت بان قالت انما هو ولد ابنتى وليس بأجنى منى ولان آكله أنا خير من ان يأكله غيرى

وأشباه هذا كثير جداً حتى انك لاتجد أحداً فى ديار مصر الا وقد رأى شيئا من ذلك حتى أرباب الزوايا والنساء فى خدورهن

ومما شاع أيضاً نبش القبور وأكل الموتى وبيع لحمهم

وهذه البلية التى شرحناها وجدت فى جميع بلاد مصر ليس فيها بلد الا وقد أكل فيه الناس أكلا ذريعا من أسوان وقوص والفيوم والمحلة والاسكندرية ودمياط وسائر النواحى

وخبرنى بعض أصحابى وهو تاجر مأمون حين ورد من الاسكندرية بكثرة ماعاين بها من ذلك . وأعجب ماحكى لى أنه عاين اروس خمسة صغار مطبوخة

فى قدر واحدة بالتوابل الجيدة . وهذا المقدار من هذا الاقتصاص كاف فانى وان كنت قد أسهبت اعتقد أنى قد قصرت

وأما القتل والفتك فى النواحى فكثير فاش فى كل فج ولا سيما طريق الفيوم والاسكندرية ، وقد كان بطريق الفيوم ناس فى مراكب يرخصون الاجرة على الركاب فاذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا اسلابهم . وظفر الوالى منهم بجماعة فمثل بهم . وأقر بعضهم عندما أوجع ضربا ان الذى خصه دون رفقائه ستة آلاف دينار

وأما موت الفقراء هزالا وجوعا فأمر لايطيق عمله إلى الله سبحانه وتعالى وانما نذكر منه كالانموذج يستدل به اللبيب على فظاعة الأمر

فالذى شاهدناه بمصر والقاهرة وما تاخم ذلك ان الماشى أين كان لايزال يقع قدمه أو بصره على ميت ومن هو فى السياق أو على جمع كثير بهذه الحال . وكان يرفع عن القاهرة خاصة الى الميضاة كل يوم مابين مائة الى خمس مائة ، وأما مصر فليس لموتاها عدد ويرمون ولا يوارون . ثم بآخرة عجزعن رميهم فبقوا فى الاسواق بين البيوت والدكاكين وفيها الميت منهم قد تقطع والى جانبه الشواء والخباز ونحوه

وأما الضواحى والقرى فانه هلك أهلها قاطبة إلا ماشاء الله . وبعضهم انجلى عنها اللهم إلا الأمهات والقرى الكبار كقوص والاشمونين والمحلة ونحو ذلك ، ومع هذا أيضا فلم يبق فيها إلا محلة القسم وان المسافر ليمر بالبلدة فلا يجد فيها نافخ ضرمة ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى متقابلين . بعضهم قد رم وبعضهم طرى وربما وجد فى البيت أثاثه وليس له من يأخذه

حدثنى بذلك غيرواحد كل منهم حكى مايعضد به قول الآخر قال احدهم دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيوانا فى الارض ولا فى السماء فتخللنا البيوت فالفينا اهلها كما قال الله عز وجل « جعلناهم حصيداً خامدين » فتجد ساكن كل دار موتى فيها الرجل وزوجته وأولاده قال ثم انتقلنا الى بلد آخر ذكر لنا انه كان فيه اربع مائة دكان للحياكة فوجدناها كالتى قبلها فى الخراب ، وان الحائك فى بير جاكسته ميت واهله موتى حوله . فحضرنى قوله تعالى « ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون » قال ثم انتقلنا الى بلد آخر فوجدناه كالذى قبله ليس به انيس وهو

مشجون بموت اهله قال، واحتجنا الى الاقامة به لأجل الزراعةفاستأجرنا من ينقل الموتى مما حولنا الى النيل كل عشرة بدرهم ، قال ولـلن قد بدلت البلاد بالذئاب والضباع ترفع لحوم أهلها

ومن عجيب ماشاهدت انى كنت يوما مشرفا على النيل مع جماعة فاجتازعلينا فى نحو ساعة نحو عشرة موتى كأنهم القرب المنفوخة هذا من غير أن نتصدى لرؤيتهم ولا أحطنا بعرض البحر وفى غد ذلك اليوم ركبنا سفينة فرأينا اشلاء الموتى فى الخليج وسائر الشطوط كما شبهها ابن حجر بانابيش العنصل وخبرت عن عياد بفرضة تنيس أنه مر به فى بعض نهار أربعمائة غريق يقذف بهم النيل الى البحر الملح وأما طريق الشام فقد تواترت الاخبار أنها صارت مزرعة لبنى آدم بل محصرة وانه عادت مأدبة بلحومهم للطير والسباع وان طلابهم التى صحبتهم من منجلاهم هى التى تأكل فيهم

وأول من هلك فى هذه الطريق أهل الحرف عندما انتجعوا الى الشام وانتشروا فى هذه المسافة مع طولها كالجراد المحسوس ولم تزل تتواصل هلكاهم الى الآن وانتهى انتجاعهم الى الموصل وبغداد وخراسان والى بلاد الروم والمغرب واليمن ومزقوا كل ممزق

وكثيراً ما كانت المرأة تملص من صبيتها فى الزحام فيتضوررون حتى يموتوا

وأما بيع الاحرار فشاع وذاع عند من لايراقب الله،حتى تباع الجارية الحسناء بدراهم معدودة، وعرض على جاريتان مراهقتان بدينار واحد . ورأيت مرة أخرى جاريتين احداهما بـكر ينادى عليهما باحد عشر درهما

وسألتنى امرأة ان اشترى ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم فعرفتها ان ذلك حرام فقالت خذها هدية وكثيراً مايترامى النساء والولدان الذين فيهم صباحة على الناس بأن يشتروهم أو يبيعوهم وقد استحل ذلك خلق عظيم ووصل سبيهم الى العراق وأعماق خراسان وغير ذلك

وأعجب من جميع مااقتصصناه ان الناس مع ترادف هذه الايات عاكفون على أصنام شهواتهم لايرعون منغمسون فى بحر ضلالاتهم، كأنهم هم المستثنون . فمن ذلك اتخاذهم بيع الاحرار متجراً ومكتسبا ومنه عهارهم بهؤلاء النسوة حتى ان منهم من

يزعم أنه افتض خمسين بكراً ومنهم من يقول سبعين كل ذلك بالكسر

وأما خراب البلاد والقرى وخلو المساكن والدكاكين فهو مما يلزم هذه الجملة التى اقتصصناها وناهيك أن القرية التى كانت تشتمل على زهاء عشرة الف نسمة تمر عليها فتراها دمنة وربما وجد فيها وربما لم يوجد وأما مصر فخلا معظمها وأمابيوت الخليج وزقاق البركة وحلب والمقس وما تاخم ذلك فلم يبق فيها بيت مسكون أصلا بعد ما كان كل قطرمنها قدر مدينة زحمة من الناس حتى ان الرباع والمساكن والدكاكين التى فى سرة القاهرة وخيارها أكثرها خال خراب وان ربعاً فى أعمر موضع بالقاهرة فيه نيف وخمسون بيتاً كلها خالية سوى أربعة أبيت أسكنت من يحرس الموضع

ولم يبق لاهل المدينة وقود فى تنانيرهم وأفرانهم وبيوتهم الا خشب السقوف والابواب والزروب

ومما يقضى منه العجب أن جماعة من الذين مازالوا محدودين سعدوا فى دنياهم هذه السنة فنهم من أثرى بسبب متجره فى القمح ومنهم من أثرى بسبب مال انتقل اليه بالارث ومنهم من حسنت حاله لابسبب معروف . فتبارك من بيده القبض والبسط ولكل مخلوق من عنايته قسط

وأما خبر النيل فى هذه السنة فانه أحترق فى برمودة احتراقا كثيراً وصار المقياس فى أرض جزر وانحسر الماء عنه نحو الجيزة وظهر فى وسطه جزيرة عظيمة طويلة ومقطعات أبنية وتغير الماء فى ريحه وطعمه ثم تزايد التغير ثم انكشف أمره عن خضرة طحلبية كلما تطاولت الأيام ظهرت وكثرت كالتى ظهرت فى أبيبين السنة الخالية ولم تزل الخضرة تتزايد الى آخر شعبان ثم تناقصت الى أن ذهبت وبقى فى الماء أخيراً نباتية منبثة فقط وطاب طعمه وريحه ثم أخـــذ فى رمضان تسمي وتقوى جريته الى اليوم السادس عشر منه فقاس فيه ابن أبى الرداد قاع البركة فكان ذراعين وأخذ فى زيادة ضعيفه بأضعف من السنة الخالية ولم يزل فى زيادة ضعيفة الى ثامن ذى القعدة وهو السابع عشر من مسرى فزاد أصبعاً ثم وقف ثلاثة أيام فأيقن الناس بالبلاء واستسلموا للهلكة ثم أخذ فى زيادات قوية أكثرها ذراع الى ثالث ذى الحجة وهو السادس من توت فبلغ خمس عشرة ذراعا وست عشرة أصبعا ثم انحط من يومه وانهزم على فوره ومر

بعض البلاد محلة القسم فكأنما زارها طيف خياله فى الحلم

وانما انتفع به ما كان من البلاد مطمئنا فاروى المنخفضات كالغربية ونحوها غير أن القرى خالية من فلاح أو حراث أصلا فهم كما قال الله تعالى « فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم » ، وانما أرباب الحرات يجمعون شذاذهم ويلتقطون أفرادهم وقد عز الحراث والبقر جدا حتى يباع الثور الواحد بسبعين ديناراً والهزيل بدون ذلك وكثير من البلاد ينحسر عنه الماء بغير حقه ولغير وقته اذ ليس لها من يمسك الماء ويحبسه فيها فتبور لذلك مع ريها وكثير مما روى يبور لعجز أهله عن تقاويه والقيام عليه وكثير مما زرع أكلته الدودة وكثير مما سلم منها ضوى وعطب

ونهاية سعر القمح فى هذه السنة خمسة دنانير وأما بقوص والاسكندرية فبلغ ستة دنانير

ومن الله سبحانه يرجى الفرج وهو المتيح للخير بمنه وجوده

الفصل الثالث

فى حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس مائه

ودخلت هذه السنة والاحوال التى شرحناها فى السنة الخالية على ذلك النظام أو فى تزايد ، الى زهاء نصفها فتناقص موت الفقراء لقلتهم لا لارتفاع السبب الموجب وتناقص أكل بنى آدم ثم انقطع خبره أصلا

وقل خطف الاطعمة من الاسواق وذلك لفناء الصعاليك وقلتهم من المدينة ، وانحطت الاسعار حتى عاد الاردب بثلاثة دنانير لقلة الآكلين لا لكثرة المأكول ، وصفت المدينة بأهلها ، واختصرت واختصر جميع مافيها على تلك النسبة والف الناس البلاء واستمروا على البلاء حتى عاد ذلك كأنه مزاج طبيعى

وحكى لى انه كان بمصر تسع مائة منسج للحصر ، فلم يبق الا خمس عشرة منسجا ، وقس على هذا سائر ماجرت العادة أن يكون بالمدينة من باعة وخبازين وعطارين وأساكفة وخياطين وغير ذلك من الاصناف ، فانه لم يبق من كل صنف من هؤلاء الا نحو ما بقى من الحصريين أو أقل من ذلك

وأما الدجاج فعدم رأسا لولا أنه جلب منه شيء من الشام ، وحكى لى ان رجلا مصريا شارف الفقر فالهم ان اشترى من الشام دجاجا بستين ديناراً ، وباعها بالقاهرة على القماطين بنحو ثمانى مائة دينار ، ولما وجد البيض بيع بيضة بدرهم ثم بيضتين ثم ثلاثا ثم أربعاً واستمر على ذلك وأما الفراريج فبيع الفروج بمائة درهم ولبث برهة يباع الفروج بدينار فصاعدا

وأما الافران فانها توقد بأخشاب الدور ، فيشترى الفران الدار بالثمن البخس ويقد زروبه وأخشابه أياما ثم يشترى آخر ، وربما كان فيهم من تنشطه نذالته فيخرج ليلا يجوس خلال الديار فيحتطبها ولا يجد ذاعرا

وكثيراً ماتقفر الدار بمالكها ولا يجد لها مشتريا فيفصل أخشابها وأبوابها وسائر آلاتها فيبيعها ثم يطرحها مهدومة وكذلك أيضا يفعلون بدور الكسرا

وأما الهلالية ومعظم الشارع ودور الخليج وحارة الساسة والمقس وما تاخم ذلك فلم يبق فيها أنيس وانما ترى مساكنهم خاوية على عروشها وكثيراً من أهلها موتى فيها . ومع ذلك فالقاهرة بالقياس الى مصر فى غاية العمارة وأهلها فى غاية الكثرة

وأما الضواحى وسائر البلاد فيباب رأساً ، حتى ان المسافر يسير فى كل جهة أياما لايصادف حيوانا إلا الرمم ماخلا البلاد الكبار كقوص واخميم والمحلة ودمياط والاسكندرية . فان فيها بقايا وأما ماعداهذه وأمثالها فان البلد الذى كان يحتوى على الوف خال أو كالخالى

وأما الاملاك ذوات الأجر المعتبرة فان معظمها خلا أو لم يبق دأب أهلها إلا حراستها بسد أبوابها وتحصين مسالكها أواسكانها من يحرسها بأجرة ، اللهم الاما كان من الملك فى قصبة المدينة فان بعضه مسكون بأخف أجرة ، وأعرف ربعاً فى أعمر موضع بالمدينة كانت أجرته فى الشهر مائة وخمسين دينار فعادت فى هـــذه السنة الى نحو عشرين دينار ، وآخر فى مثل موضعه كانت أجرته فى الشهر ستة عشر دينارا فعادت الى دويق الدينار وجميع مالم نذكره على هذا القياس أفهمه

والذى دخل تحت الاحصاء مـ[illegible] كفن وجرى به اسم فى الديوان رضته المبضات فى مدة [illegible] شوال من سنة ست وتسعين

وآخرها رجب من سنة ثمان وتسعين مائة الف نفس واحدى عشر الفا الا أحاداً وهذا مع كثرته نزر فى جنب الذين هلكوا فى دارهم وفى أطراف المدينة وأصول الحيطان ، وجميع ذلك نزر فى جنب من هلك بمصر وما تاخمها ، وجميع ذلك نزر فى جنب من أكل فى البلدين ، وجميع ذلك نزر جداً فى جنب من هلك أو أكل فى سائر البلاد والنواحى والطرقات وخاصة طريق الشام ، فانه لم يرد أحد من ناحية فسألته عن الطرق الا ذكر أنها مزرعة بالاشلاء والرمم وهكذا ماسلكته منها

ثم انه وقع بالفيوم والغربية ودمياط والاسكندرية موتان عظيم ووباء شديد ولا سيما عند وقت الزراعة فلعلة يموت على المحراث الواحد عدة فلاحين حكى لنا ان الذين بذروا غير الذين حرثوا وكذلك الذين حصدوا

وباشرنا زراعة لبعض الروساء فارسل من يقوم بأمر الزراعة فجاء الخبر بموتهم أجمعين ، فارسل عوضهم فمات أكثرهم ، هكذا مرات فى عدة جهات وسمعنا من الثقات عن الاسكندرية ان الامام صلى يوم الجمعة على سبع مائة جنازة وان تركة واحدة انتقلت فى مدة شهر الى أربعة عشر وارثا ، وان طائفة كبيرة من أهلها تزيد على عشرين الفا انتقلوا الى برقة وأعمالها فعمروها وقطنوها ، وهذه برقة كانت مملكة عظيمة وخربت فى زمن اليازورى وعلى يديه ، وكان وزيراً ظالما فجلا عنها أهلها وسكن كثير منهم بالاسكندرية وكان هذا الحادث تقاص فى الطبيعة

ومن عجيب ما اتفق لشيخ من أطباء يهود مصر ممن ينتابنى سوى من سبق ذكرهم ان استدعاه رجل زبونه ذو شارة وشهرة بستر ودين وجدة ، فلما حصل فى المنزل أغلق الباب ووثب عليه فجعل فى عنقه وهقا ومرت المريض خصيتيه غير أنه لم تكن لها معرفه بالقتل فطالت المناوشة وعلا ضجيجه فتسامع الناس ودخلوا فخلصوا الشيخ مرنتاً وبه رمق يسير وقد كسرت ثنيتاه وحمل الى منزله مغشياً عليه وأحضروا الفاعل الى الوالى فسأله ما حملك على ما فعلت . فقال الجوع فضربه ونفاه

واتفق سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان وهو الخامس والعشرون من بشنس ان حدثت زلزلة عظيمة اضطرب لها الناس فهبوا من مضاجعهم مدهوشين ... الى الله سبحانه ولبثت مدة طويلة وكانت حركتها كالغربلة أو كخفق جناح الطائر و... ثلاث رجفات قوية مادت بها الابنية واصطفقت الابواب

وصرصرت السقوف والاخشاب وتداعى من الابنية ماكان واهيا أومشرفا عاليا ثم عاودت فى نصف نهار يوم الاثنين الا أنهالم يحس بها أكثر الناس لخفائهاوقصر زمانها وكان فى هذه الليلة برد شديد يحوج الى دثار خلاف العادة وفى نهار ذلك اليوم تبدل بحر شديد وسموم مفرط يضيق الانفاس ويأخذ بالكظم وقلما تحدث زلزلة بمصر بهذه القوة

ثم أخذت الاخبار تتواتر بحدوث الزلزلة فى النواحي النائية والبلاد النازحة فى تلك الساعة بعينها ولذا صح عندى أنها حركت فى ساعة واحدة طابقة من قوص الى دمياط والأسكندرية ثم بلاد الساحل باسرها والشام طولا وعرضاً وتعفت بلاد كثيرة بحيث لم يبق لها أثر وهلك من الناس خلق عظيم وامم لاتحصى ولا أعرف فى الشام بلدا أحسن سلامة من القدس فانها لم تنك فيه الاملالا بال وكانت نكاية الزلزلة ببلاد الافرنج اكثر منها فى بلاد الاسلام كثيرا

وسمعنا ان الزلزلة وصلت الى اخلاط ونخومها والى جزيرة قبرس وان البحر ارتطم وتموج وتشوهت مناظره فانفرق فى مواضع وصارت فرقه كالأطواد وعادت المراكب على الارض وقذف سمكا كثيرا على ساحله

ووردت كتب من الشام دمشق وحماة تتضمن خبر الزلزلة ومما اتصل لى من ذلك كتابان أوردتهما بلفظهما

نسخة الكتاب الوارد من حماه

ولما كان سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان حدثت زلزلة كادت الارض تسير سيرا والجبال تمور موراً وماظن أحد من الخلق الا أنها زلزلة الساعة وأتت دفعتين فى ذلك الوقت أما الدفعة الاولى فاستمرت مقدار ساعة أوتزيد عليها واما الثانية فكانت دونها ولكن أشد منها وتأثر منها بعض القلاع فأولها قلعه حماه مع اتقانها وعمارتها وبارين مع اكتنازها ولطافتها وبعلبك مع قونها ووثاقتها ولم يرد عن البلاد الشاسعة والقلاع النازحة الى الآن ماأذكره

ثم حدث فى يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه عند صلاة الظهر زلزلة استوى فى علمها اليقظان والنائم وتزعزع لها القاعد والقائم ثم حدثت فى هذا اليوم أيضاً وقت صلاة العصر وصل الخبر من دمشق بأن الزلزلة أفسدت فيها منارة الجامع

الشرقية وا كثر الطوسة والبيمارستان جميعه وعدة مساكن تساقطت على اهلها وهلكوا

نسخة الكتاب الوارد من دمشق

المملوك ينهى حدوث زلزلة ليلة الاثنين سادس وعشرين شعبان وقت انفجار الفجر واقامت مدة قال بعض اصحاب انها مقدار ماقرأ سورة الكهف وذكر بعض المشايخ بدمشق أنه لم يشاهد مثلها فيما تقدم ومما أثرت فى البلد سقوط ست عشرة شرفة من الجامع واحدى المآذن وتشقق اخرى وفيه الصاحى يعنى النسر وانخساف الكلاسة ومات فيها رجلان ورجل آخر على باب جيرون وتشقق بالجامع مواضع كثيرة وسقط بالبلد عدة دور

وذكر عن بلاد المسلمين أن نابلس سقط بعضها وصفد كذلك ولم يبق بها الا من هلك سوى ولد صاحبها وكذلك تبنين ونابلس لم يبق لها جدار قائم سوى حارة السمرة ويذكر ان القدر سالم والحمد لله

واما بيت جن فلم يبق منه الا الاساس والجدران وقد أتى عليها الخسف وكذلك اكثر بلاد حوران غارت لايعرف لبلد منها موضع يقال فيه هذه القرية الفلانية . ويقال ان عكا سقط أكثرها وصدر ثلثها وغرقة خسف بها وكذلك صافيتا

وأما جبل لبنان فهو موضع يدخل الناس اليه بين جبلين يجمع منه الريباس لاخضر فيقال ان الجبلين انطبقا على من بينهما وكانت عدتهم تناهز مائتى رجل وقد أكثر الناس فى حديثها

وأقامت بعد ذلك أربعة أيام تحدث فى النهار والليل

ونسأل الله لطفه وتدبيره وهو حسبنا ونعم الوكيل

ومن عجيب ماشاهدنا ان جماعة ممن يتنانى فى الطب وصلوا الى كتاب التشريح فكان يعسر أفهامهم وفهمهم لقصور القول عن العيان فاخذنا از بالمقس تلاقيه رمم كثيرة فخرجنا اليه فرأينا تلا من رمم له مسافة طويلة يكاد يكون ترابه أقل من الموتى به نحدس مايظهر منهم للعيان بعشرين الفا فصاعدا وهم على طبقات فى قرب العهد وبعده

فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها واوضاعها ما [illegible] من الكتب. اما انها سكتت عنها اولا يفى لفظها بالدلالة

عليه او يكون ما شاهدناه مخالفا لما قيل فيها والحس اقوى دليلا من السمع فان جالينوس وان كان فى الدرجة العليا من التحرى والتحفظ فيما يباشره ويحكيه فان الحس اصدق منه

ثم بعد ذلك يتخيل لقوله مخرج ان امكن فمن ذلك عظم الفك الاسفل فان الكل قد اطبقوا على انه عظمان بمفصل وثيق عن الحنك وقولنا الكل انما نعنى به ها هنا جالينوس وحده فانه هو الذى باشر التشريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عليه وصنف فيه عدة كتب معظمها موجود لدينا والباقى لم يخرج الى لسان العرب

والذى شاهدناه من حال هذا العضو انه عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز اصـــــلا واعتبرناه ماشاء الله من المرات فى اشخاص كثيرة تزيد على الفى جمجمة باصناف من الاعتبارات فلم نجده الا عظما واحدا من كل وجه ثم اننا استعنا بجماعة مفترقة اعتبروه بحضرتنا وفى غيبتنا فلم يزيدوا على ما شاهدوه منه وحكيناه وكذلك فى اشياء اخرى غير هذه وليت مكنتنا المقادير بالمساعدة ووضعنا مقالة فى ذلك تحكى فى ما شاهدناه وما علمنا من كتب جالينوس .ثم انى اعتبرت هذا العظم ايضا بمدافن بوصير القديمة المقدم ذكرها فوجدته على ما حكيت ليس فيه مفصل ولا درز ومن شأن الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة اذا تقادم عليها الزمان ان تظهر وتتفرق وهذا الفك الاسفل لا يوجد فى جميع احواله الا قطعة واحدة

واما العجز مع العجب ذكر جالينوس انه مؤلف من ستة اعظم ووجدته انا عظما واحدا واعتبرته بكل وجه من الاعتبار فوجدته عظما واحدا ثم انى اعتبرته فى جثة اخرى فوجدته ستة اعظم كما قال جالينوس وكذلك وجدته فى سائر الجثث على ما قال الا فى جثتين فقط فانى وجدته فيهما عظما واحدا وهو فى الجميع موثق المفاصل ولست واثقا بذلك كما انا واثق باتحاد عظم الفك الاسفل

ثم اننا دخلنا مصر فراينا منها دروبا واسواقا عظيمة كانت مغتصة بالزحام والجميع خال ليس فيه حيوان الا عابر سبيل فى الاحايين وان المار فيها ليستوحش ومع ذلك فقلما ينفك قطر منها عن جثة وعظام متفرقة حتى خرجنا الى موضع يسمى اسكرجة فرعون فراينا الاقطار كلها مغتصة بالجثث والرمم وغلبت على الاكام بحيث جللتها وكادت تغلب على ترابها ورمالها وهذه الاسكرجة وهى وهدة

عظيمة حين ما اشرفنا عليها الجماجم بيضا وسودا ووجدنا بعضها على بعض طبقات
وقد اخفى كثرتها وتراكمها سائر العظام حتى كانها رءوس لم يكن معها ابدان يشبهها
من ينظرها بيطيخ قد قطع وجمع حتى صار كالبيدر ثم رايتها بعد ايام وقد عرقتها
الشمس وابيضت فشبهتها ببيض النعام المتراكم

ولما رايت خلو تلك الحارات والاسواق من الناس وامتلاء تلك الصحارى
والاكام خيل الى انه سفر ارتحل فأخلى مكانا وشغل آخر هذا مع انه اى جهة
نحاها القاصد صادف فيها ما حكينا واضعافه

ووجد فى ذى الحجة بمصر امرأة ذبحت صبياً لتأكله فأخذت وغرقت وقد
ارتفعت هذه الحال وانقطع خبرها ومشاهدتها لم يوجد سوى هذه المرأة . ومن عجيب
الكائنات فى هذه المدة أن مولوداً فى سبع وتسعين ولد براسين وولد مولود آخر
أبيض الشعر ورأيته وليس هو كبياض الشيب بل يحيل الى صهوبة ما . وولدت فى
هذه السنة بغلة ولداً ميتاً وبقى فى دار الوالى أياماً كثيرة وفى سنة ثمان وتسعين
وجدت سخلة ذات لبن كان يخرج من حلمتها كأنه خيط دقيق وأحضرت بدار
الوالى مرات وآخر ما أحضرت وعمرها أربعة أشهر

وأما خبر النيل فى هذه السنة فنحن نسوقه باختصار أما أولا فانه احترق فى
طوبة ثم تزايد احتراقه حتى صار مخاضات للناس والدواب وظهرت الخضرة فيه
فى جمادى الآخرة الكائن فى برمهات وتزايدت جدا فى رجب حتى ظهرت فى طعمه
ولونه وريحه ثم تناقصت حتى ذهبت اصلا وانتهى احتراقه فى رمضان وانحسر
عن المقياس نحو ثمانى مائة ذراع وأطالع أبى الرداد باستقرار الماء يوم الثلاثاء
لخمس بقين من بؤونة وأربع بقين من رمضان من سنة ثمان وتسعين فكان القاع
ذراعا ونصفا وكان فى السنة الخالية ذراعين وابتدأ فى الزيادة فى السنة الخالية من
هذا اليوم فاما فى هذه السنة فان زيادته تأخرت الى الخامس والعشرين من أبيب
لم يزد فى هذه المدة سوى أصابع حتى ساءت ظنون الناس وشملهم اليأس وظنوا
ان حادثا وقع بفوهته وعند مبدأ جريته ثم أخذ فى الزيادة حتى انسلخ أبيب وهو
على ثلاث أذرع ووقف يومين فاشتد هلع الناس لخروجه فى التوقف عن المعتاد
ثم [illegible] زيادات متداركة وجبال من المياه متدافعة فزاد ثمانى أذرع

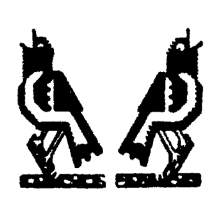
فى مدة عشرة أيام منها ثلاث أذرع متوالية وانتهى فى رابع توت وهو الثانى عشر من ذى الحجة الى ست عشرة ذراعا تنقص اصبعا وقام يومين ثم اخــذ ينحط متباطئا وينصرف رويدا

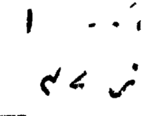
فهذا ما قصدت اقتصاصه من احواله هذه الكائنة فليكن آخر المقالة ومنتهى الكتاب

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد النبى الامى وعلى آله الطيبين الطاهرين

كتبه مؤلفه الفقير الى الله تعالى عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى فى رمضان سنة ستماية بالقاهرة

تم





محتويات الكتاب

صفحة